انونايت

ذلك الليل

THAT NIGHT

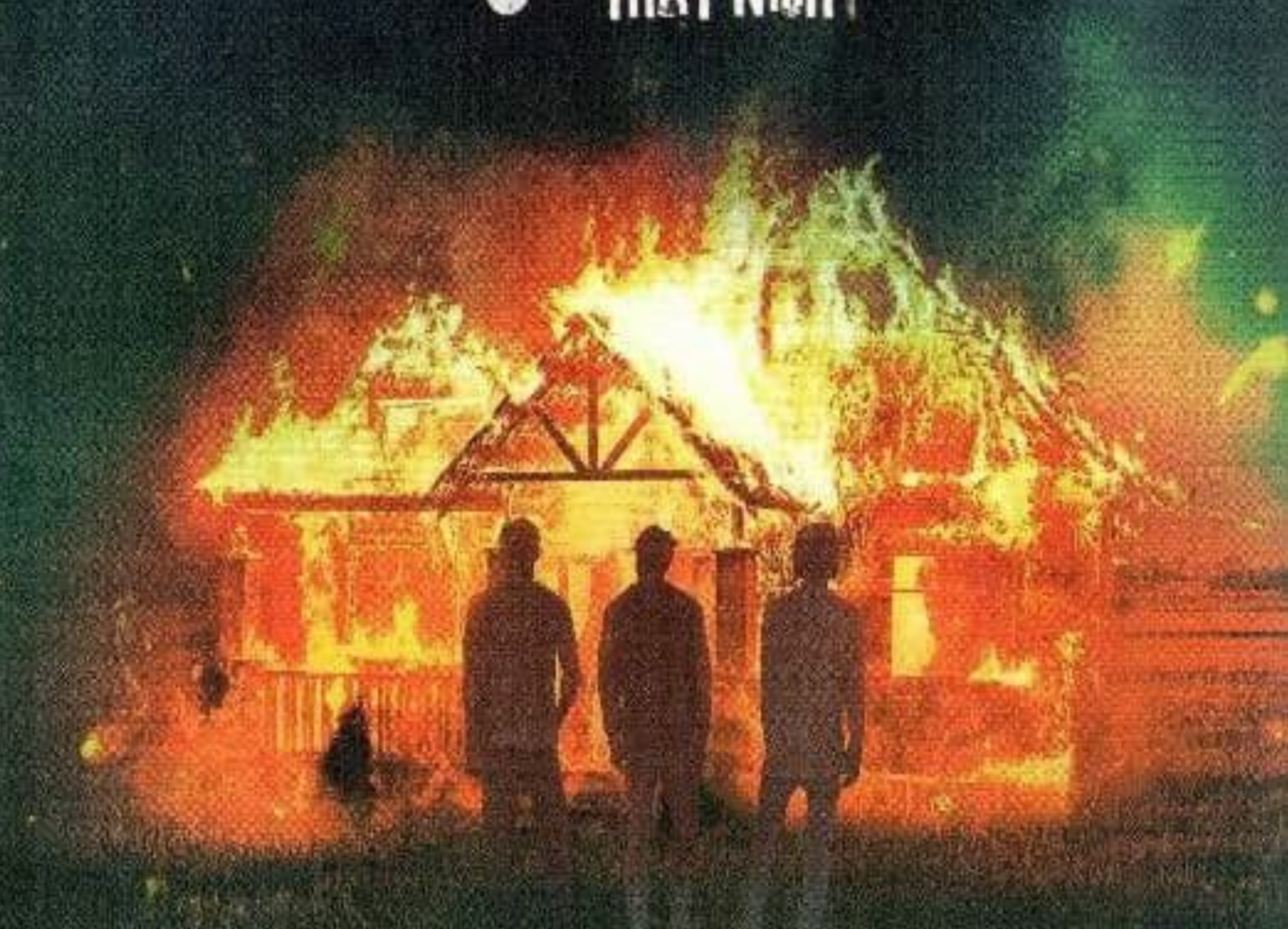

فاطمة الزهراء هامل

READERS STAR

DAR PAGES BOOK

رواية انونايت تلك الليلة

فاطمة الزهراء هامل

المقدمة: لا داعي للمقدمة إن كنتَ ستتجاهلها على أي حال.

1

في السادس من ديسمبر، في جو غائم وأمطار خفيفة متراقصة، خرجت أنا وفيصل من السجن، بقيت أجول بناظري في الأرجاء كأني أرى الخارج لأول مرة، حاولت الشعور بالهواء وهو يجعل شعري يتطاير، وبالأمطار وهي تلتطم برفق على وجهي، وبكل لحظة أحاول أن أرمن وجه فيصل الواقف ببرود بجانبي بروده وهذا الهدوء الذي هو أمر عهدته عليه دومًا ولكن كما عهدت هذا الهدوء عهدت أيضًا نشاطه وحركته والآن خوفي الأكبر أن يفقدهما، نظرتُ صوب السيارة التي ركنت بجانب السجن والتي وقف بجانبها صديقنا محمد الذي جاء لاستقبالنا، ابتسم ابتسامة خفيفةً تدلّ على فرحه برؤيتنا أخيرًا، هذا الرجل كان الصديق والأخ لنا، أو بالأصح كنا نحن الثلاثة كالإخوة، كنت أسمع من الحكماء والعقلاء عن أن الذي يُشاركك ضراءك ويراك بأسواء حالاتك فذلك سيكون صديقك وشريكك وسيفرح لفرحك وسيحزن لحزنك، فقط قم باختيار الشخص الصحيح، ويبدو أني اخترت الشخصين الصحيحين فعلًا "فيصل" و "محمد."

اقترب منا محمد وتلك الابتسامة لم تفارق شفتيه، كان من طباعي أن أبادل الابتسامة لأي شخص يبتسم بوجهي سواءً كنت أعرفه أو لا ولكني عجزت عن فعل هذا هذه المرة، بقيت أنظر له وهو يبتسم لي وحسب بدون أن

يتولّد على وجهي أي تعبير وكان المثل الفيصل، وقفنا نحن الثلاثة أمام بعضنا ولكن لم يسلم أحدنا على الآخر، لقد اكتفينا بالنظر إلى بعضنا للحظات وحسب، بالنسبة لأي شخص فتلك النظرات مجرد نظرات عابرة ولكنها كانت تحمل معنى بالنسبة لثلاثتِنا، تريد الحديث ونريد طرح الأسئلة ولكن لا أحد يطيق الحديث بالنظر إلى تفكيري فأنا كنت أقول بداخلي لا داعي للحديث من الجيد أن طلعت من هذا المكان.

لاحظ محمد ارتباكنا وسكوتنا الذي لم يعتده لا هو ولا نحن وقام بالتسليم علينا، ركبنا سيارته التي جاء بها ليُقلّنا إلى بيوتنا. صحيح أن الصمت عم لفترة طويلة، ولكني أيضًا شخص فضولي؛ رغبتي في المعرفة كانت تتفوق عليَّ دائمًا وكانت سبب وقوعي بالمشاكل وكانت هي أيضًا السبب بوقوعي في آخر مشكلة تعرّضت لها الفضول، الرغبة بالمعرفة أمران جيدان، ولكن إذا لم يتم كبحهما فقد يؤديان بصاحبها للجنون أو ربما الموت! نعم الموت الذي الذي كنت على شفا حفرة منه وكدت أودي بحياة صديقي به.

من المفترض أني تعلمت درسي وأنه لا يجب عليَّ حشر أنفي، ولكن لم أستطع وتكلمت سائلًا محمد عن القرية أو الحظيرة كما وصفها فيصل بوقت مضى، بمجرد أن سألته قام بضغط مكابح السيارة بقوة وأنا ألاحظ ملامح الارتباك

على وجهه ولكنه قام بالرد علي وأخبرني بأنه لم يكن هناك وجود لتلك القرية من الأساس!

بمجرد سماعي لهذه الجملة شعرت بأطرافي تبرد، لا أعرف كيف أصفُ شُعور القشعريرة التي شعرتُ بها، شعرت بصعقة تصعد من أخمص قدماي حتى رأسي ثم تعود من حيث جاءت، فيصل لم يقل رعبًا عني، لقد لاحظت ذلك من اتساع حدقتي عينيه وتعابير وجهه المتجمدة، سألت محمد مرة أخرى عن القرية وما الذي يقصده بأنه لا وجود للقرية من الأساس؟ ماذا عن الشيخ وابنه؟ لم أستطع أن أفهم ما يرمي إليه ثم طلبت منه أن يأخذني لأني لن أصدق ما لم أرى بعيني، وبالفعل لم يخيبني وتوجه بنا إلى القرية، في ظلّ ذلك الصمت بقيت أفكر بالكثير من الأحداث السابقة وكيف لنا أن نسافر في أول يوم لنا بعد خروجنا من السجن، لم نقابل أهلنا حتى، بعد صمت طويل تكلم فيصل أخيرًا سائلًا عن الوقت المتبقي لنصل إلى القرية فأجابه محمد أنها كلها نصف ساعة لكي نصل، مرت النصف ساعة بثقل حتى أقبلنا على صحراء خالية! لم أصدق عيني، حينما رأيت أن هذه الصحراء تخلو من الحياة. أنا متأكد.. جدا متأكد أنه كان هناك ما يقارب الثلاثة بيوت هنا! لم أستطع أن أُكذِّبَ محمد الذي جلبنا إلى هنا لأني قد تأكدت مُسبقًا من اللافتة الموجودة على يسار الطريق، كانت هذه اللافتة هي بوصلتنا للقرية ولا

زالت على حالها، ولكن... إن لم تتحرك اللافتة أيعني.. أن القرية تحركت؟ نظرت إلى محمد نظرات تعجب وتساؤل، ولكنه أخبرني بكل بساطة أن القرية اختفت وحسب لأنه لم يكن هناك وجود لها.

2

فيصل

لطالما أخبرني الجميع أني شخص فظ التعامل، لكن كانت تلك طبيعتي، طبيعتي التي لم يتقبلها أحد سوى اثنين: "ياسر، ومحمد"، هذان الاثنان كانا زميلا وصديقا مدرسة، ولكن علاقتي مع ياسر استمرت من زميلي مدرسة إلى زميلي عمل، لا أعرف، ولكني لم أستطع الابتعاد عنه ربما لأننا أصدقاء أو لأنى أرغب بأن أتبعه دومًا! كان ذا شخصية طاغية وأفضل ما ميزه ذكاؤه الشديد وفضوله للمعرفة وحبه للتعلم، كنت أخبره بأنّ فضوله هذا قد يودي بنا في داهية يومًا ما وكان يُخبرني بأن عصبيتي وأسلوبي الفظ قد يوديان بي للسجن لكن بنهاية المطاف هيلقيته وفضوله الزائد هما من أديا بنا للسجن. كنتُ أعرف بأني رفيق دائم له، الجميع كان يمتدح صداقتنا وكانت أكثر جملة أسمعها هي (إنكما لا تفترقان، من لا يعرفكما يعتقد أنكما أخوين).

كنتُ أسعد بسماع هذا، ولكن لم أعتقد بأننا وصلنا لدرجة لا نفترق فيها عن بعضنا حتى أصبحنا نسجن معًا، التفكير بالأمر كان يُضحكُي للغاية وكنتُ أعرف أن مقولة (في الهواء سواء) تنطبق علينا فعلًا.

أمضيتُ سنةً كاملة في السجن مع ياسر ويبدو أن تفكيري تغير بالعديد من الأمور خلال تلك السّنة، ولكني حرصت

دومًا على ألا أجعل ياسر يلوم نفسه أو يشعر أنه السبب في سجننا لأني شاركته فضوله وانتهى بنا الأمر هنا. مرت السنة وكأنها عشر سنين وحان وقت خروجنا.. على عكس بقية المساجين الذين كانوا يسرون بسماع خبر اقتراب خروجه الأمر لم يكن بهذه الأهمية لي لأني بدأت أتعود على أجواء السجن.

في يوم غائم وممطر جاءنا مأمور السجن ليُخبرنا بأن نتجهز للخروج تجهزت بهدوء ووقفت بباحة السجن أنتظر ظهور ياسر لنخرج معًا، بعد لحظات رأيته قادمًا نحوي، بصراحة تعرّفت عليه من خلال شعره الذي كانت تتلاعب به الرياح، وقف أمامي وقال: "لنخرج ". فتح حارس السجن البوابة ليخرج كلانا، ولكن بتلك اللحظة بقيت أركز بهدوء بوجه ياسر وكيف ستكون ملامحه بعد خروجنا، كل ما قام به أن أخذ نفسًا عميقًا وأغمض عينيه كأنه يستشعر الرياح والأمطار من حوله، فتح عينيه وبقي ينظر حوله تارةً ثم يأخذ نظرة خاطفة نحوي تارةً أخرى كنت أتظاهر بأني لا أراه وهو يرمقني ليرى ردة فعلي كما فعلت.

نظرت أمامي لأرى وجهًا مألوفًا لي، كان محمد الذي ابتسم ابتسامةً بلهاء، اقترب منا، سررت برؤيته لكن لا أعرف ما الذي منعني من التعبير عن ذلك واكتفيت بالنظر إليه واكتفى هو بالنظر إلى ياسر وبدوره هو الآخر بقي ينظر إلي

وبقينا نحن الثلاثة ننظر لبعضنا بصمت. سلم علينا محمد وذهبنا لسيارته، بصراحة كل ما أردته هو أن يوصلني لبيتي بسرعة لأني أريد الراحة ولم أكن أريد أن أكثر من الحديث ربما لأنه لم يكن لدي ما أقوله على عكس ياسر الذي سأل بعد فترة من الصمت سؤالًا لم أرده أن يطرحه والذي لا يمكنني نكران أن جواب محمد له جعلني أشعر بالرعب "ألا زلت تحشر أنفك بهذه الأمور بعد كل ما حصل ألا تتوب أنت؟"، هذا ما كان يدور في ذهني بعد أن تكلم ياسر ولكني أثرت الصمت وبقيتُ على موقفي الذي كنت سأخرج عنه بعد أن سمعته يطلب من محمد أن يأخذنا إلى القرية أو إن صح الوصف "حظيرة"... حظيرة لدينا معها ماضي سيئ قليلًا. "أريد الذهاب للبيت، خُذني إلى بيتي ثم أنقلعا كلاكما إلى تلك القرية "، هذا أيضًا ما كان يجول بذهني وأردت أن أفصح به لمحمد بعد أن وافق على طلب ياسر، ولكني أثرت الصمت مرة أخرى ربما هذه المرة لأني كنتُ فضوليًا أيضًا وأريد أن أرى وأعرف.

على جانب الطريق رأيتُ لافتةً حينها عرفت أننا قد أوشكنا على الوصول.. لكن.. وصلنا ولا وجود للقرية، شعرت للحظة أني قد جننت، بقي ياسر يسأل محمد عن كيفية اختفاء القرية بهذه الطريقة، ولكن خطر شيء ببالي، ذكرى قبل سنة وقلت لكلاهما: لهذا السبب كان

يرمقنا المارة من هذا الطريق باستغراب! نظر إليّ الاثنان ثم قلت: "كل هذا يفعل تلك اللعينة."

أخبرني محمد بأن أهدئ من روعي وأن أنسى الموضوع برمته وأنها كانت صفحة وسنطويها، وألا أفتح الموضوع مرة أخرى، أوصلني محمد إلى بيتي وذهب.

3

ياسر

بعدما رأيت أنه لا أثر للقرية استسلمت ولم أقو على شيء آخر.. فقام محمد بإيصال فيصل إلى بيته وفي الطريق لبيتي أخبرني بألا أفتح موضوعنا أمام عائلتي، كان يقصد بموضوعنا ما حدث قبل سنة، ولكني طمأنته وأخبرته بأني لا أفكر بهذا مطلقًا ثم قال: "سأمر عليك الليلة أنت وفيصل، هناك ما أحتاج أن أخبركما به.. أحداث حصلت معي عندما كنتما في السجن."

حينما أخبرني بهذا قاومت فضولي الشديد، ولكني أعلمته بأني أشعر بالتعب قليلًا، وأنه سيكون من الجيد أن تؤجله إلى الغد، وافق ثم نزلت من السيارة فوجدت أهلي ينتظرونني، شعرت بالشوق الشديد لهم على الرغم من زياراتهم المتكررة لي بالسجن أدركت أن الإنسان لا يُقدر قيمة ما يملك حتى يفقده.

دخلت وتناولنا الغداء وجالستهم قليلًا، لم أردهم أن يشعروا بأي تغير بي أو ما شابه، أو أن السجن غيرني أو أثر في، في الحقيقة لقد غيرني وأثر في، ولكني لا أريد أن أشعرهم بالأمر. استأذنتهم في وقتٍ لاحق للخروج قليلًا للحي وأول من قابلته كان جاري نجم الذي بمجرد أن رآني هرول إلي يسلم عليّ وتحمد لي خروجي بالسلامة ثم قال:

لقد أسفتُ لما حصل معك، أنت لا تستحق أن تواجه كل ذلك."

بصراحة لقد تأسف لما حصل معي وهو لا يعرف ما حصل من الأساس، لقد بدت ككلماتٍ رسمية، ولكن بغيرة ومع ذلك اختصرت الموضوع بشكره وإكمال طريقي.. البشر، لا يجيدون قول كلمة "لا أعرف"؛ إنهم يدعون بأنهم على علم بكل شيء لسببين: لأجل الظهور بمظهر العالم الفاهم الذي لا يُريد أن يُقلل من شأنه والثاني لكي يستطيع معرفة ما لا يعرفه، هذا المبدأ معقد قليلًا، ولكنه يحتاج بعد العقل لفهمه. وأما بالنسبة إليّ أنا أفضل قول إني لا أعرف السبين، لكم أعرف ما لا أعرفه بدون لف ودوران ولكي أتفادى المشاكل ورم الراس.

بعد تجوالي لفترة في الحي هممت بالعودة إلى المنزل، وفي الطريق لمحت أحد البيوت، نعم إنه نفسه ذلك البيت المهجور الذي قرد الحكومة هدمه هذه السنة لأجل مشروع تجاري، بقيت شاردًا؛ للحظات ثم غادرت ضاحكًا.

4

ياسر

قبل سنة

كعادتنا في العمل أنا وفيصل -نحن زميلا عمل في شركة للسفارات نقوم بمنح التأشيرات للمسافرين السياح وغيرهم- كان دوامنا من التاسعة صباحا حتى الثامنة ليلًا.

11 نوفمبر 2017.. تاريخ محفور بذاكرتي، كنت أنا وفيصل بالعمل وبقينا لوقت متأخر من الليل بسبب بعض الأوراق التي وجب علينا إنهاؤها، انتهينا عند منتصف الليل، دخلنا المصعد لنذهب إلى سيارتي ونعود لبيوتنا وعند بوابة الخروج التقينا بشابة فاتنة الجمال، طويلة القامة، ممشوقة الجسد، بعيون خضراء لامعة وحادة وشعر أسود فاحم، بدت في العشرينات من عمرها، استغربنا وجودها بهذا الوقت، بقيت أنا وفيصل نتبادل النظرات، قد يعتقد الأغلب أنا تبادلنا النظرات وكانت نيتنا سيئة نحوها ولكننا لسنا وغدين، فالنظرات التي تبادلناها كانت نظرات استغراب امرأة بهذا الوقت من الليل لوحدها؟"، ربما كان هناك أمر طارئ بحيث لم تستطع الانتظار ولكن أخبرها فيصل بأننا أغلقنا وقد تأخر الوقت ولتعد غدًا، لكن صُدِمنا بها تقول: "فيصل، ياسر، أنا بحاجة إلى مساعدتكما."

رد عليها قائلًا: "فيصل؟ ياسر؟ من أين لك بأسمائنا."

ردت عليه وقد لاحظت الارتباك حين أخبرته بأنها عرفت أسمان من حارس الأمن بالخارج، ارتاح فيصل لجوابها بينما شككت أنا لي مصداقيتها لأنها نظرت بعيني مباشرة وهي تلفظ اسمي وكأنها كانت متيقنة من أني أنا ياسر والذي بجانبي هو فيصل، قاطع تفكيري حوالي مع فيصل عندما سألها ما الذي تريده وماذا جاء بها في هذا الوقت من الليل وبقيتُ أترقب تعابير وجهها وهي تتكلم لعلي ألاحظ أي شيء لأنني كنت لحد اللحظة غير مرتاح لها، جاوبته بأنها سائحة هنا وتريد العودة لموطنها. أخبرها بأنه لا مشكلة في ذلك، ولكن لتعد في اليوم اللي لأننا حاليًا انتهينا من ساعات دوامنا، ولكنها اعترضت بشدة بحجة أنها مشغولة في اليوم التالي، بصراحة إصرارها لم يُعجبني وجعلني أشعر بعدم الراحة أكثر، أجابها فيصل: "سيدتي لا يمكنني أن أفعل أي شيء حيالك فلتذهبي الآن وعودي في وقت آخر؛ انتهى دوامنا." فجأة بدأت المرأة تتوسل إلينا كالمجنونة لدرجة أن درجات صوتها بدأت تتغير لتصبح أكثر خُشونة، ارتعب كلانا مما نراه ونسمعه، كيف لهذه المرأة أن تغير صوتها بهذه الطريقة! تبادر إلى ذهني بسرعة أنها امرأة غير طبيعية وبدأت الشكوك والهواجس نحوها ترتفع عندي، وافق فيصل على طلبها وأدخلها، دخلنا للمكتب وجلست على الكرسي وطلب منها فيصل أن

تعطيه جواز سفرها وحسبما أذكر كان جواز سفر قديم مهترئ، قطعت وتآكلت أغلب صفحاته، كتب عليه اسمها فقط "نجلا" و تاريخ ميلادها الذي كان 1960!.

كيف هذا؟ مستحيل، المرأة التي تجلس أمامي عمرها يتراوح في العشرينات همس فيصل يسألني إن كنت أعتقد أن جوازها مُزوّر أم لا ثم أجاب نفسه قائلًا: "ما هذا السؤال بالطبع إنه مُزوّر!".

لكني لم أكتف بهمسه لي وسألتها مباشرةً إن كان هذا الجواز مُزوّرًا، لكنها نفت كلامي تمامًا!

سألتها مجددًا عن عمرها وقالت لي: "الجواز أمامك ألا ترى تاريخ ميلادي؟ إنه في السابع والخمسين!

5

فيصل

نجلا، هذا الاسم لا يزال صداه يتردد في أذني ولا أعتقد أني فدانا في يومٍ ما، بل قد أشعر بالعقدة منه.

تلك الليلة بدأ كل شيء، حينما جاءت لمقر عملنا امرأة بجمالها لم تر عيني من قبل، ولكن وجود امرأة بذلك الوقت المتأخر من الليل غريب بعض الشيء، اتضح أنها جاءت تريد أن نمنحها تأشيرة للعودة لوطنها تساءلت ما الذي تريده بالتأشيرة إن كانت تريد العودة لوطنها؟ هذا! يحتاج إلى تأشيرة، ونظرًا لتأخر الليل فأنا لا يمكنني أن أتصرف معنا أخبرتها أن تعود في الغد، ولكنها أصرت بشدة وأذكر كيف بدأت درجات صوتها تختنق لتتغير وتصبح أشد خشونة، شعرت بالرعب وأنا أنظر لياسر المستغرب أيضًا، ومع ذلك لم أجد خيارًا إلا أن أدخلها وحسب دخلنا إلى مكتبي وطلبت منها جواز سفرها، ولكني فوجئت بجواز من أقرب إلى أن يكونَ. كُنّاش طفلة في الحضانة! كان جواز سفر على عكس شكل جوازات السفر الحديثة، ولكن ما فاجأني أكثر من شكل جواز سفرها الذي عنفته حتى تشوه هو تاريخ ميلادها، لقد كن خلال 1960 وكأي شخص عاقل بمجرد النظر إليه فسأفهم أنها الجواز مُزوّر، همست إلى أذن ياسر عن الموضوع الذي بدأ بدوره يطرح

الأسئلة عليها، ولكنها كانت تجيبه بكل ثقة: "أحقًا؟ دفترك المدرسي المهترئ هذا تُسمّينه جواز سفر، ولا، إنه مُزوّر أيضا". هذا ما كان يحول بخاطري، ولكن ما أغضبني هو إصرارها الشديد أنه أصلي وغير مُزوّر وأنها فعلًا تبلغ من العمر 57 ربيعًا لم أتمالك نفسي وصرخت بها: "هل تسخرين بي يا امرأة أخبريني بالحقيقة وإلا اتصلت بالشرطة!".

لكني فوجئت بها تسحب هاتفها وتمده نحوي وهي تُخبرني بكل ثقة أن أتصل بالشرطة ومن هاتفها أيضًا.

ياسر

بدأت أفكر في نفسي وأقول: من المستحيل أن تكون هذه الشابة ذات البشرة الناعمة الخالية من التجاعيد في الخمسينات من عمرها، بل لم أكثر بهذا حتى؟ إنه واضح وضوح الشمس والسؤال هو لم قد تقوم بهذا؟ ليس بالجديد علينا أن تقابل مزوّرين، بل إننا نقابلهم بأعداد لا تحصى، كانوا يشتركون في شيء واحد وهو الخوف من أن يتم اكتشاف أمرهم ولكن هذه.. إنها لا تشعر بأدنى خوف، بل إنها تُشبه من جاء لمنصة الإعدام بقدميه، لطالما تفادانا المزوّرون لأن عقوبة هذا هو السجن، ولكنها كلمت فيصل، بكل أريحية وهي تطلب منه أن يتصل بالشرطة، شعرت بالغضب الشديد من هذه الدعابة الصبيانية والتفت لأجدها ذهبت سألت فيصل عنها ليُخبرني أنه قام بطردها، فأخبرته أن ما فعل كان خيرًا لأني كنت سأقوم بالمثل ولو كانت صادقة فلتعد غدًا وسيكون هنالك وقت للجدال معها، نزلنا من جديد إلى موقف السيارة حيث سيارتي وكانت المفاجأة! المرأة التي طردت قبل قليل تنتظرنا بجانب سيارتي صرخ فيها فيصل: "هاي أنتِ ماذا تفعلين هنا لحد الآن؟."

كنتُ أعرف بأنها ستقوم باختلاق حجة ما وبالفعل هذا ما حصل لقد طلبت منا أن نقوم بإيصالها لمنزلها بحكم أنها

لا تجد بالمنطقة أي سيارات أجرة في هذا الوقت، ولا تستطيع أن تأمن على نفسها، أنتقل عليها فيصل ووافق على طلبها، صحبته من يده واعترضت وصرخت فيه، كيف له أن يقبل طلبها، أولًا لأن السيارة سيارتي والأمر متروك لي لأقرر، وثانيًا الوقت متأخر من الليل وستكون معنا امرأة بالسيارة وأنا لا أريد هذا. رفع فيصل حاجبيه وهو ينظر إليّ برأس ماثل: "ليس من اللائق رفض طلبها."

أخبرته أنه ليس من اللائق أيضًا أن يقبله دون إذني وأن عليه أن يعتذر منها فحسب، رفض فعل ذلك ووجدت نفسي مجبرًا في النهاية أن أصطحبها معنا، استلمت المقود وجلس فيصل الحمار بجانبي وجلست هي في الخلف، وسألتها عن عنوانها، ولكنها فاجأتني بأنها تريد الذهاب إلى قرية تبعد عن المدينة حوالي 300 كلم!

أخبرتها وبكل صراحة أن تعذرني لأن مشوارها بعيد ولا يمكنني، بل لا أقدر عليه ووراءنا دوام مبكر لذا فلتجد لنفسها حلًا ما.

أذكر أنها طلبت أن آخذها على الأقل إلى محطة توصيلات أو ما شابه، لم أتمالك نفسي وضربت المقود بقوة والتفت إليها وأنا أنظر بنظرات غاضبة وكنتُ على وَشَكِ الحديث، ولكني رأيتُ أنها لا تقوم بأي ردة فعل، كانت تنظر إليّ باستغراب وكأن رد فعلي مبالغ فيه أو لا حاجة له، عرفتُ في تلك اللحظة أن نزول هذه الغريبة من سيارتي أمر

مستحيل وأن عليَّ أن أخذها على الأقل إلى أقرب محطة ولتتدبر نفسها بعد ذلك.

تحركت بسيارتي خارجًا من المبنى ذاهبًا بها إلى أقرب محطة والتي تبعد عنها حوالي عشر أو خمس دقائق، مر علينا صمت مطوّل قليلًا ثم كسرت هي الصمت سائلة فيصل إن كان متزوجًا، كنتُ أعرف أنها مجرد حيلة لفتح باب للحديث أجابها نافيًا أذكر أنها ردت قائلة: أتمنى لك التوفيق بني."

بتلك اللحظة انفجرنا ضاحكين أنا وفيصل منها، ورد عليها فيصل وهو يشهق شاكرًا إياها ثم أضاف كلمة "عمتي" بآخر كلامه كسخرية عليها. ثم جاء دوري لتسألني وقمت بالنفي أيضا، في تلك اللحظة راودني سؤال محير فاستأذنتها أن أطرحه وقابلتني بالموافقة، قلت: لقد قلتِ بأنك سائحة وتريدين العودة إلى الوطن."

- نعم صحيح.

- إذن ما الذي تفعله سائحة في قرية تبعد عن المدينة 300 كلم، غالبًا السياح هنا يأتون لأجل المدينة ومعالمها، ألا يفترض أن تكوني بفندق ما؟

لم أسمع أي جواب لسؤالي ثم أضفت: ما هو بلدك يا سيدة؟

لم نسمع أي شيء، استدار فيصل ليرى لما لا تجيب، وما سبب هذا الهدوء، ثم فجأة صرخ باسمي، ضغطت على مكابح السيارة بقوة، حتى شعرت بأنها كانت على وشك الانقلاب بنا.. استدرت لأرى وكانت المفاجأة.. أين نجلا؟ اختفت كيف لها أن تختفي فجأة هكذا، لتضع احتمال القفز، لو قفزت على الأقل كنت سمعت صوت الباب وهو يفتح، ولكن من المستحيل أن تقفز وأنا أقود بهذه السرعة! شعرت بأنه بدأ يغمى علي وشعرتُ بفيصل وهو يصفعني لكي أصحو... بدأت أطرح عليه الكثير من الأسئلة، كيف لنجلا أن تختفي هكذا؟ بدا على فيصل الرعب على الرغم من أنه من النوع المتماسك دائما والذي لا يظهر ما يشعر به باستثناء غضبه، ولكني رأيت الخوف بعينيه.

بالنسبة لي، شعرت بالبرودة تسري بجسمي، بل أن قدماي تجمدتا، قمت أنا وفيصل بتبادل المقاعد ليتولى هو أمر السياقة التي لم أعد أقوى عليها، بالنسبة لسبب خوفي ليس بسبب اختفاء نجلا المفاجئ، ولكن تبادرت إلى ذهني الكثير من الأفكار وهي ما جعلتني على هذا الحال، أولها هل نجلا من العالم الآخر؟ نعم.. بالطبع إنها كذلك، ولكني أخشى إخبار فيصل بذلك فتكون ردة فعله ساخرة لأنه لا يؤمن كثيرًا بهذه الأمور، ولكن لمَ ركبت نجلا إن كانت ستختفي من الأساس؟ أخبرت فيصل بأن يوقف

السيارة، انتابني الفضول لأرى مقعدها؛ فربما هنالك شيء يوضح لي حقيقة هذه المرأة.. بدأنا نفتش فوق وتحت وبين المقاعد لعلنا نجد شيئًا، ثم سمعت فيصل ينادي علي، ذهبت إليه فوجدته يمسك بكيس أسود، كان الظلام حالكًا للغاية والساعة حوالي الثانية عشر أخرجت هاتفي وأشعلت مصباحه لأرى محتويات الكيس، ولكن صدم كلانا حينها وجدنا أن المحتوى كانت عظامًا وبدت أنها عظام حيوانات ميزنا ذلك بوجود عظام دجاج بين باقي العظام ولكن من وضعها الكيس؟ ثم قلت بالطبع ستكون نجلا ومن غيرها سيفعل ذلك مثلًا، قال فيصل بأنه سيقوم برمي الكيس بينما أخبرته بأني قادر الآن السياقة، بدأت شكوكي تُصبح حقيقة تجاه نجلا وأن هذه المخلوق ليست شخصًا طبيعيًا مثلنا. كنت طوال الطريق مركزًا لعلي ألمحها ولكن دون جدوى مع أني كنتُ أعرف استحالة الأمر.. قمت بإيصال فيصل إلى بيته وعدت لمنزلي، كان التعب والإرهاق ينهكاني، وصلت للحي كان في مدخل حينا منزل مهجور منذ سنين طويلة، أذكر القصة التي.. يتسامر بها أهل الحي عنه، قبل سنين طويلة اشترت عائلة هذا البيت: يستقروا فيه طويلًا حتى ماتوا مختنقين بالغاز، ونشب من بعده حريق هائل لم يستطع أحد النجاة بتلك الليلة وماتت العائلة بأكملها، لم يقرب أحد البيت ولم يجد من يشتريه وكان يدور في أحاديث الحي أن

هذا المنزل مسكون بأرواح العائلة التي ماتت بداخله وأنهم يسمعون أصوات صراخ وأشياء أخرى من وقت لآخر، كنتُ مؤمنًا أن هذه مجرد خرافة ابتكرها أهل الحي ليخيفوا بها أطفالهم، على كل حال نظرت إلى البيت، وبحكم أنه بالمدخل لا يمكن لأي داخل أو خارج أن يتفادى النظر إليه كما فعلت أنا، تفاجأت بشخص لم أتوقع رؤيته يقف عند مدخل البيت المهجور، لقد كانت نجلا واقفة تلوح لي وبابتسامة، شعرت بصداع مما أرى، ما الذي جاء بها إلى هنا؟ نزلت من سيارتي لأرى وأتأكد مما تنقله لي عيناي، وبالفعل! إن ما أراه حقيقة، دخلت نجلا إلى الداخل وهي تنظر إلى كأنها تنتظر مني اللحاق بها، شعرت أن هذا فخ لاستدراجي، ذهبت وركبت سيارتي ثم أكملت للبيت.

أول ما قمت به هو رمي نفسي على السرير مباشرة ونمت من شدة التعب، صباح اليوم التالي استيقظت كما هو معتاد وتناولت إفطاري وتجهزت للذهاب إلى العمل، وانطلقت للمرور على فيصل بحكم تعطل سيارته، وصلت إلى بيته وخرج لي. بمجرد أن التقت عينانا ببعضها فرطنا ضحكًا بسبب أحداث البارحة وبقي يُعايرني ويضحك على خوفي، وبصراحة، ضحكت على نفسي أيضًا، ركب السيارة ولم أخف عنه ما حدث لي البارحة عند عودتي لبيتي ورؤيتي لنجلا أمام البيت المهجور في

حينا، وصلنا إلى مقر عملنا، ولكني لم أتناسى قصة نجلا بعد ولا أعتقد أنها بالقصة التي سأجعلها تمر مرور الكرام، في رأسي تساؤلات كثيرة وأنا بحاجة لأجوبة عنها، لو فكرت فقط قد أجد طرف الخيط، ثم تبادرت إلى ذهني بسرعة ليلة الأمس، عندما تكلمت نجلا عن القرية التي أرادت الذهاب إليها، نهضت من مكتبي ذاهبًا لمكتب فيصل لأخبره بما أفكر فيه وفوجئت به هو الآخر قادمًا نحوي فسألته عن سبب مجيئه قال إنه بعدما سمع بما حصل معي البارحة ببيت حينا فإنه فكر وخرج باستنتاج وهو الذهاب إلى القرية لعله يعرف شيئًا ما، حمسني ما سمعته منه وأخبرته بأني كنت قادمًا إليه لنفس السبب.

عزمنا على الذهاب للقرية مباشرة، تجهزنا وأخذنا معنا بعضًا من حاجيات السفر وانطلقنا نحو القرية التي تبعد عنا 300 كلم، بعد ثلاث ساعات وصلنا إلى القرية، كانت ذات حركة كثيرة وكان هذا أمرًا إيجابيًا بالنسبة لنا لأنه سيسهل عملية بحثنا عن نجلا، بدأنا نسأل الملأ عن امرأة اسمها نجلا أو أي سيدة غريبة جاءت للقرية، ولأن القرية صغيرة فغالبًا يسمع أو يُعرف دخول أي غريب إليها، ولكن حدث ما هو عكس توقعاتنا، قام الجميع بنكران معرفة امرأة بهذا الاسم، وأكدوا أن لا أحد هنا بهذا الاسم، ولم يدخل أي غريب للقرية، شعرت بخيبة أمل بعض الشيء وطلبت من فيصل أن نعود للمدينة وأن مجيئنا ذهب

هباءً، أثناء مغادرتنا أمسكتني يدٌ خَشِنة وحارة من قميصي استدرت لأجد شيخًا كبيرًا ذا ثياب بالية ورثة ووجه شاحب وحسب تقديري ورؤيتي فإنّه تجاوز الثمانين من عمره نظر إلي وقال: "تبدوان غريبين عن القرية، من أنتما وهل بإمكاني مساعدتكما بشيء؟."

أجبته بأننا غريبان فعلًا وجئنا لكي نبحث عن شابة تدعى نجلا.

أفلت المسن يدي وقال: "نجلا؟ من أين تعرفانها؟."

أردت أن أسرد له القصة فتدخل فيصل ومثل عليه أننا من الشرطة وأننا هنا لأجل بعض الأمور العالقة التي تخص نجلا.

ارتبك الشيخ ثم طلب منا أن ترافقه إلى منزله، حينها أمسكني فيصل وحذرني من أنه لا داعي أن أخبر الجميع بقصتنا لأنهم سينظرون إلينا على أننا مجنونين وأومأ لي لأنظر لأهل القرية الذين بدؤوا بالفعل يتهامسون فيها بينهم علينا، في الحقيقة لقد استغرب كلانا من همساتهم ونظراتهم الغربية، وصلنا إلى بيت الشيخ، أدخل يده في جيبه ليُخرج مفتاح البير لكنه أسقطه على الأرض بسبب ضعفه والتقط فيصل المفتاح من عن الأرض وقام بفتح الباب نيابة عن المسن، أما أنا ما زالت نظرات أو القرية وتهامسهم عنا يُشغلني، سألت المسن عن سبب هذه

الجلية فقال: "أنا بنظرهم مجرد رجل مسن خرف ومجنون، ومن الغريب بالنسبة لهم أن تمشوا برفقة رجل مجنون."

- أتُقرّ بأنك مجنون إذا؟

- أنا فقط أخبرك بوجهة نظرهم عني.

- ولكن لم أشعر بأنهم ينظرون لي ولفيصل ولا ينظرون لك؟

قاطعنا فتح فيصل للباب قبل أن يُجيبني، دلفنا لداخل البيت، كان بيتًا مهجورًا ورائحة الغبار تجول في المكان، غير الأنسجة العنكبوتية التي تسود الأرجاء، من الغريب أن يكون هذا شكل بيت يعيش به شخص ما، ولكني لم أهتم بالموضوع كثيرًا بقدر اهتمامي لما سيقوله الشيخ لنا، بدأ فيصل يطرح عليه الأسئلة وكيف يعرف نجلا وما الذي يعرفه عنها.

أجابنا بما لم نكن نتوقعه واتضح أنه والد نجلا ثم سألنا عن الذي قصده فيصل حين قال قبل قليل بعض الأمور العالقة؟ فأخبره فيصل عن مجيء نجلا لمقر عملنا البارحة، قاطعه الشيخ قائلًا: مهلًا، توقف! ما الذي تقصده بأنك رأيتها البارحة؟

فيصل: نعم يا سيد لقد زارتنا وكانت تريد.

ثم قاطعه مرة ثانية قائلًا: توقف، انظر وراءك!

صرخ به فيصل وأخبره بألا يقاطعه مرة أخرى، التفتنا لنجد صورة معلقة بالحائط ثم سألنا الشيخ إن كانت التي بالصورة هي نفسها المرأة التي رأيناها البارحة أو أننا نقصد شخصًا آخر لديه نفس الاسم، أكدت عليه جيدًا أنها ذاتها من في الصورة ولكن ما لفت انتباهي أن جودة الصورة كانت سيئة بعض الشيء وبدت أنها صورت منذ زمن قديم مضى ولكن مع ذلك استطعت تمييز وجهها أذكر ما قاله المسن والذي لم أتوقع سماعه: "لا أعلم عما تتكلمان ولكني أعلم جيدًا أن الموتى لا يزورون الأشخاص في مقرات أعمالهم".

كانت كلماته كالصاعقة في أذنينا، ولكني بقيت أكذب نفسي وأحاول أن أطمئنها بأنها مجرد كلمات تخرج من لسان مسن خرف ومع ذلك سألته عما يقصد لأني مؤمن بوجود سوء تفاهم ولو كان أملًا كاذبًا، أجابني: "لا أعلم ما الذي تريد مني أن أوضحه لك، كلامي واضح وضوح الشمس، أما عن الشيء الذي لا يمكن استيعابه هو أنكما تهزآن بي وتبحثان عن ابنتي الميتة!".

لم أتمالك نفسي وأمسكت بيد المسن صارخًا عليه بشدة، سحبني فيصل عنه وأمرني بالتوقف والنظر إلى النافذة حيث كان أهل القرية ينظرون إلينا باستغراب شديد،

وبدون سابق إنذار رن هاتفي وكان رقم المتصل غريبًا أجبت عليه وسمعت التالي: "أنت تبحث عني اليس كذلك؟ مشكلتك معي وليست مع والدي."

بدأت أصرخ فيها لكي لا تقفل الهاتف، ولكنها فعلت، اتصلت مرات وتكرارًا لكن دون جدوى؛ كان الهاتف مغلقًا، سحبت صديقي على جنب وأخبرته بمن كان المتصل وما سمعته.. بصراحة أنا كنتُ أُرجح أن تكون نجلا من العالم الآخر، ولكن ليس بهذه الطريقة!

عدت إلى المسن واعتذرتُ منه على انفعالي وسُوءِ تَصرفي وطلبت أن يُخبرني بكل شيء عن نجلا.

6

المسن (والد نجلا)

بزحمة القرية يمر الجميع ولا يروني، كأني لست موجودًا، ولكني هنا! وحيث اعتدت الجلوس. دخل غريبان إلى القرية وبدا أنهما يبحثان عنني، أدركت أن كل شيء يسير كما تُريد هي ومهمتي الآن مساعدة هذان الاثنان اللذان سألاني عن نجلا، رأيت أن الوقوف بالخارج والحديث معهما ليس بالفكرة السديدة لذا دعوتهما إلى بيتي لنتحدث بأريحية أكثر، لم يطل الحديث كثيرًا حتى قررت أن أحكي لهم عن نجلا فبدأت أسرد لهما القصة التي بدأت قبل 60 سنة، عندما انتقلت وزوجتي وابنتي نجلا التي كانت تبلغ من العمر آنذاك 15 ربيعًا، لم أحظ بأي أبناء غيرها ولأنها ابنتي الوحيدة كنت أحاول تحقيق كل رغباتها بغض النظر عن ظروفنا المادية إلا أني أتناسى كل ذلك عندما أرى سعادتها، أكملت دراستها بالقرية هنا وعندما حان تخرجها من الثانوية طلبت مني إرسالها للمدينة لإكمال دراستها الجامعية، في البداية رفضت رفضًا قاطعًا إرسال ابنتي لوحدها للمدينة، حتى لو رافقناها فأنا لا منزل لي ولا مأوى وظروفي لا

تسمح لي بهذا أساسًا ولكنها أصرت وبشدة، وبدأت محاولات الإقناع بأنها لو درست فقد تتغير حياتنا للأفضل وعلى كل فهناك ما يسمى بالإقامة الجامعية أو ما شابه، بالنهاية لم أجد نفسي إلا مستسلمًا لرغباتها كما اعتدت دومًا، أرسلتها لإكمال دراستها وأذكر أنها بذلك الوقت بلغت الثامن عشر ربيعًا وهذا عمر ربّما يمكنها من معرفة مصالحها بدون أن تلجأ إلينا غالبًا.

في يوم ما حسبما أذكر قامت جامعة نجلا بتنظيم رحلة لأفضل طلاب بالجامعة، لم أستغرب كون ابنتي من ضمن العشرة الأوائل لأنها شخص مُتفانٍ وجاد في العمل، ولكن ما استغربته هو أن الرحلة كانت لدولة أخرى!

كأب، فإن ذهاب ابنتي لمكان بعيد أمر لا أطمئن له ومقلق بالنسبة، ولكن كما اعتادت واعتدتُ أنا الآخر إصرارها الذي لم أستطيع كبحه يومًا لم أجد نفسي إلا موافقًا على ذهابها.. قدمت لها بعض المال الذي لطالما ادخرته لأجلها وليتني قاومتها وكبحتُ إصرارها في ذلك الوقت، رأسي شَابَ وتقدمت بالعمر لدرجة نسيت إلى أي بلد ذهبت ولكني أذكر مدة سياحتهم

كانت لمدة أسبوع كامل ومن الأسبوع ولم تعد ابنتي!
ابدًا بعد تسعة أيام اتصلت علي جامعة نجلا لأجل
أن أحضر، اعتقدت أن الداعي من حضوري هو أخذ
ابنتي معي للبيت، سافرت للمدينة واتجهت مباشرة
لمدرستها واستقبلني مديرها وسلم عليَّ ولكن كانت
تعابير وجهه غير مطمئنة بالنسبة لي، بدأ يخبرني عن
الأقدار ويدخل حديثًا في حديث لم أرتح فسألته:
مُباشرةً: "أيها المدير ، دع عنك هذه الخزعبلات
وأخبرني مباشرةً ما الأمر؟"، ولكنه صدمني عندما
أخبرني بأن ابنتي نجلا لم تعد معهم وأنها اختفت
أثناء الرحلة وبعد ثلاث أيام من اختفائها والبحث
عنها تلقوا اتصالا بخط الفندق الأرضي وكان من
إحدى المستشفيات هناك، وطلب منهم المجيء
لأمر ما يُعتقد أنه يخصهم، وبعد ذهابهم للمشفى
أخبرهم الطبيب عن وجود جثة لأجل أن يتعرفوا
عليها ولسوء الحظ كانت جثة ابنتي، قام أحدهم
بإيصالها للمشفى بعد أن وجدها مرمية على الطريق
وقام المشفى بدوره بالتفتيش بين أغراضها فوجدوا
بطاقتها الجامعية التي تحمل اسمها وإحدى المناديل
التي طبع عليها اسم الفندق الذي أقاموا فيه، واتضح

في الأخير أنها تعرضت لحادث، صدمتها سيارة ما
ويبدو أن الجاني هرب بدون أن يملك ذرة إنسانية
ويأخذها إلى المستشفى، ولكن الشخص الذي وجدها
مرمية قال بأنها كانت لا تزال تتنفس قبل أن يأخذها
للمشفى ومع الأسف ماتت بالطريق قبل أن تصل؛
تعرفوا على جثتها ودفنت هناك وخسرت ابنتي
وانتهى كل شيء وبدون أي وداع.

ياسر

بعد أن حكى لنا المسن قصته وقصة ابنته غرَبَت أنفسنا مما تسمع ومع ذلك شعرت بالتعاطف نحوه وارتأيت أنه يجب عليَّ إخباره بالحقيقة فحكيت له أنا الآخر عما حصل البارحة ابتداءً من دخول نجلا إلى عملنا واختفائها بالسيارة بشكل لا يُفسّر أثناء توصيلنا لها، انتهاء عندما قابلتها. البارحة ببيت حينا ثم سكت للحظة فسأله فيصل إن فهم أي شيء من حديثي أو أنّ هناك ما لفت انتباهه في كلامي فأومأ برأسه إيجابًا ووجدت أن ما لفت انتباهه بكلامي نفسه ما فكرت به من قبل وهو أنه من الغريب أن تقول نجلا بأنها تريد العودة إلى الوطن بينما هذا هو موطنها، ولكن من المنطقي أن تقول أنها تريد المجيء إلى القرية، ولكن فرضًا أننا لبينا طلبها هذا هل كانت ستختفي بمنتصف الطريق، أو أنها ستبقى حتى نوصلها؟ ولكن بكل الأحوال من ستقابل لو كنا أوصلناها؟ لو أرادت أن تقابل والدها لجاءت إليه مباشرةً دون تدخلنا، ولكنها قصدتنا لأجل أمرٍ آخر لذا فاحتمال مجيئها إلى القرية لأجل والدها أمر مستبعد!

قال المسن فجأة: نعم تذكرت! هناك شيخ بإمكانه أن يُساعدكما، إنه متخصص بهذه الظواهر وهذه الأمور.

سأله فيصل: وأين ستجده؟

- على بعد ما يقارب 150 كلم من هنا.

- أوه ممتاز، يعني منتصف الطريق من هنا إليه ومن المدينة إليه.

ودعنا المسن وشكرناه وأخبرناه بأننا سنعلمه بأي شيء جديد، طلب منا ألا نتردد إن احتجنا أي مساعدة منه وبعدها ذهبنا، ركبنا السيارة سألني فيصل إن كنا ستذهب للقرية الآن أو أني أنوي أن أؤجل الموضوع، وبالطبع كنت أنوي أن أؤجل الموضوع إلى الغد لأن اليوم كان مرهقًا بعض الشيء وبدأ ظلام الليل يهبط، سألني إن كنت أذكر الوصف الذي قاله المسن فأجبته بأني أذكره، تمسك الطريق مباشرة وبمجرد أن نرى طريقًا على اليمين نلف إليه، سنجد لافتةً فتلف مرةً أخرى على اليسار هذه هي بوصلتنا لبيت الشيخ الذي قال عنه.

بعد صمت قال فيصل: أليس من الغريب أن يكون تاريخ ميلادها بجواز السفر هو نفسه تاريخ وفاتها؟

- نعم لاحظت ذلك، ولكن ما يشغل بالي حاليًا هو الاتصال الذي تلقيته.

- أتعرف يا ياسر، حان الوقت لتستفيد من أحد أصدقائنا خاصة وأنه ذا منصب بشركة الاتصال التي يعمل بها.

نظرت إليه وأومأت برأسي إيجابًا ثم انطلقت وأوصلت فيصل إلى بيته وبالطريق بقيت أفكر بالبارحة عند دخولي

لحيي، ولكن هذه المرة لم أجد أي شيء غريب بالمنزل كالبارحة فأكملت المسير للبيت ونحن مباشرة.

في صباح اليوم التالي وكالمعتاد خرجت لأجد هذه المرة فيصل أمام بيتي بسيارته التي يبدو أنها تصلحت وهو يمازحني بأن أدع سيارتي الخردة ترتاح اليوم فمازحته بدوري متمنيًا ألا تتوقف بنا سيارته في منتصف الطريق.

7

محمد

تلك الصورة المعلقة التى التقطت قبل عشر سنوات، علقتها بجدران غرفتي ولديّ أُخرى التقطت قبل ثلاث سنوات، تلك تركتها موضوعة على طاولة مكتبي في العمل؛ كل صباح عند استيقاظي أقابل هذه الصورة التي عليها ثلاثة وجوه ضاقت عيونهم من شدة الضحك لا زلت أذكر اليوم الذي التقطت فيه، كان بعد حفل تخرجنا أنا وفيصل وياسر، حيث ذهب ثلاثتنا إلى خلف الحرم الجامعي، قام فيصل بتهريب علبة سجائر وهي المرة الأولى لنا بالتدخين، لا أذكر من كان تحديدًا صاحب هذه الفكرة الغبية ولكننا قمنا بتطبيقها، بالنسبة لي فأنا شخص ذليل لن آخذ مصة من السيجارة ما لم يقم أحدهما بذلك، أو لا أخذ فيصل السحبة الأولى ثم أنا وفي الأخير ياسر، بقينا نتسامر فيما بيننا وأصوات التصفيق تتعالى في الجهة الأخرى من الجامعة، لم نشعر بمرور الوقت ولم نشعر أيضًا بأنه ثمة عين تراقبنا، بسبب أصوات التصفيق لم نكن لنسمع اقتراب أحد منا وفجأة شعرت بيد تُمسك كتفي بقوة، انتفض ثلاثتنا من الرعب لأنه تم إمساكنا وكشف أمرنا ولكنه كان حارس الجامعة بالأخير، وليس بالشخص الذي قد ترتعب منه؛ كانت

علاقتنا معه جيدة وممتازة بل حتى إنه جاء وجلس بجانبي وبدأ يشاركنا التدخين بقينا نجر حديثا وراء حديث وبالنهاية حصل ما لم نحسب له حسابا، جاء مأمور الجامعة، لا أريد الكذب، ولكن لو جلس ذاك المأمور على واحدة تفارق الحياة، أراهن أن وزنه تجاوز القنطار! إن كان لأحد ذكرى منه بتلك الجامعة فسيكون للمأمور علاقة بها، بالمختصر إنه سجان ومعذب الجامعة، وقوفه تلك اللحظة فوق رؤوسنا ونظراته التي انبعث منها شرر وهو ينظر إلى علبة السجائر مرمية كانت آخر ما تريده، أعلم أننا قمنا بتصرفٍ وغد في ذلك اليوم لندافع عن أنفسنا، ولكن لم يكن هناك خيار آخر لننجو بفعلتنا، تكلم فيصل وقال للمأمور: "هذه السجائر ليست لنا.. إنها للحارس!".

تغيرت ملامح الحارس وهو ينظر لفيصل "أيها الوعد الرخيص هذا ما كانت تقوله ملامحه ثم قال ياسر: "وجدنا الحارس هنا، لقد طلب منا الوكيل أن نبحث عنه ووجدتنا أنت بعدما وجدناه، لقد كان يدخن!".

انتقلت نظرات الحارس من فيصل إلى ياسر وهو ينظر باستغراب إلى أسرع انقلاب في العالم، اقتربت منه وهمست له: "صديق الأمس عدو اليوم ". طردنا المأمور ولم نسمع أي شيء سوى صراخه على الحارس لم نتمالك أنفسنا من الضحك وبقينا نترنح. هنا وهناك كل واحد منا يسقط على الآخر من شدة الضحك وقام أحد المصورين

بتصويرنا بتلك الحانة واليوم هذه الصورة معلقة بجدران غرفتي أراها كل صباح وأتذكر الحادثة فأجدني إما أضحك أو أبتسم لا شعوريًا.

تجهزت للذهاب إلى عملي وقبل خروجي دق عليَّ رقم لا أذكر متى آخر مرة رأيته يتصل فيها عليَّ، إنه ياسر، رفعت السماعة وقلت: "أراهن أن سبب هذا الاتصال المفاجئ مصلحة."

سمعته يضحك وهو يقول: " وهل تعتقد أنه لأني مشتاق إلى صوتك مثلًا؟."

بالمناسبة، وبالنسبة لي كان أكثر ما أحبه بصحبتي مع هذان الاثنان هو أنه مهما بلغ الغياب والبعد فنحن لم نكلم بعضنا أبدًا لأننا كنا نتفهم الظروف وأنه هناك وقت يكون فيه الشخص محتاجًا لبعض الوقت مع نفسه وأشغاله والأهم من هذا كله أنه لو اتصل أي واحد منا على الآخر لأجل مصلحة لم نكن نستخدم هذا ذريعة للشجار وقول كما يقول البعض: "لا تتصل ولا تسأل عني إلا لمصلحة!".

نعرف أننا لا نتصل ببعضنا البعض ولو دام الفراق طويلًا إلا لأن كل واحد منا يثق بالآخر، ويعرف أنه سيقوم بحل مشكلته وهذا ما قام به ياسر وطلب مني لقاءه اليوم لأجل

موضوع مهم، فأعطيته موعدًا للقاء بمقر عملي بوقت لاحق من النهار.

8

ياسر

أغلقت سماعة هاتفي بعد أن اتفقت مع محمد على موعد لنلتقي فأخبرنا أن نذهب لمقر عمله عند الساعة الثانية عشر زوالًا، ذهبت أنا وفيصل إلى مقر عملنا، داومنا لثلاث ساعات ثم تسلّلنا خارجين من العمل ذاهبين إلى محمد الذي وجدناه ينتظرنا مسبقًا أمام بوابة الشركة التي يعمل بها، استقبلنا ورحب بنا ترحيبًا حارًا، قادنا محمد إلى مكتبه ودخلنا وطلب منا الجلوس، لمحتُ على مكتبه صورة التقطت لنا قبل جديدة؟ ". ثلاث سنوات ابتسمت وقلت له: "ألا تُريدُ تجديد هذه الصورة بواحدةٍ جديدة؟".

ابتسم وبدا أنه راضٍ عن هذه الصورة، دخلنا لصلب الموضوع مباشرةً وبقينا نقص عليه قصة نجلا دون أي زيادة أو نقصان، محمد صديق طفولتنا ونحن الثلاثة نفهم بعضنا البعض جيدًا. صدق بدوره قصتنا وفهم بأن المقصد من تجيئنا إليه هو معرفة هوية صاحب الرقم الذي اتصلت منه نجلا بالأمس، سألني عن الرقم فأعطيته هاتفي وبدأ ينقل الرقم إلى حاسوبه وبقي مُنشغلًا للحظات قبل أن نرى ملامح وجهه تتغير إلى الصدمة والخوف، سأله فيصل إن كان هناك خطت ما، فصدمنا محمد

عندما أخبرنا أن صاحب هذا الرقم ميت منذ ثلاث سنوات وتوقف الرقم منذ وفاته بسبب عدم استخدام أحد له ولا يبدو أيضًا أن أحدًا اشترى الرقم! لم أصدق ما أسمعه لقد وردني اتصال من الرقم بالأمس! تحدث محمد بخصوص القرية التي أخبرنا عنها المسن والد نجلا، فأخبرته أنها تبعد عن هنا 150 كلم فطلب منا أن يُرافقنا ولم يكن بحاجة الطلب ليفعل.

ركبنا سيارة فيصل متجهين إلى القرية وبعدما قطعت المسافة المطلوبة رأيت منحنى إلى اليمين فعرفت أنه يجب عليَّ أن أسلكه، بعدها رأيتُ لافتة بيضاء لا تحوي على أية كتابة ومعنى ذلك أن ألف إلى اليسار مرةً أخرى، خلال فترة بدأت تظهر أمامي آفاق بيوت ليست كثيرة، هل هذه تسمى قرية الآن؟ إنها مجرد ثلاث بيوت! قال فيصل: "من سيقوم بتسمية هذه الحظيرة بالقرية ولكن هذا جيد إذ أنّه سيسهل علينا أن نجد الشيخ كما قال المسن."

ثم سأل: "لمَ لم ترنا خريطة السيارة اسم هذا المكان ولم لا يوجد رسم لإحداثيات هذه البيوت؟ " . لم أرد عليه، اكتفيتُ بَرَفْعِ كتفي وَلَوِي شَفَتي بدلالة لا أعرف، توقفت عند أوّل منزل ودققت الباب ثلاث مرات ففتح عليَّ شاب بدا أنه في الخامسة أو السادسة عشر من العمر، سأله فيصل إن كان هذا بيت الشيخ الحكيم فأشار لنا بإصبعه

للدخول، دخلنا البيت، كان شبة مُظلم ومصدر ضوئه الوحيد هو أشعة الشمس التي تسللت من إحدى نوافذه.. الهدوء يعم المكان وكأن لا أحد يقطن فيه وخال تقريبًا من الأثاث، أشار الفتى لأريكة مهترئة لنجلس عليها وبمجرد جلوسي عليها شعرت بأني أجلس فوق حجر حار، دخل الفتى لينادي الشيخ وبقينا نتفحص البيت بصمت، بعد خمس دقائق خرج عجوز من أحد الغرف وهو يقول:

"مرحبًا بياسر وفيصل ومحمد."

شعرنا بالتوتر الشديد. ما قصة الجميع؟ هل أسماؤنا مكتوبة على جبهاتنا حتى يعرفها الكل؟"، ردّ عليه محمد بتوتر بينما أنا وفيصل بقينا ننظر بصمت، فجأةً لف العجوز على فيصل ليسأله رأيه عن الحظيرة.

ضحك فيصل وكاد يسأله أي حظيرة، حتى استوعب أنه وصف المكان قبل دخوله بالحظيرة ظللنا نتبادل نظرات الرعب والاستغراب ولكنه طمأننا بأنه لا داعي للخوف ولندخل مباشرةً في صلب الموضوع تساءلت بنفسي وقلتُ بما أنّه يعرفُ أسماءنا وقصة كلمة الحظيرة فلم لا يعرف سبب مجيئنا؟ ولكن فضلت أن أحكي له بسرعة، ونذهب عن هنا؛ شرعت أقص للشيخ القصة من البداية حتى وصولنا إلى هنا وعن قصة تلقي اتصالًا من رقم هاتف صاحبه ميت! أغمض الشيخ عينيه للحظات ونحن ننظر

لبعضنا جاهلين ما يحدث ثم فتح عينيه وقال: "يا رجال، أسمعتم عن الوحدة بعالم الجن أو قد سمعتم بها؟".

فيصل: لا لم نسمع بها ولكن ما قصدك بعالم الجن؟

- اا.. حسنًا لا أقصد أن نجلا من عالم الجن لكني أقصد حالة مثل حالة الوحدة بعالم الجن ولكنها بعالم الأرواح أعتقد أن ثلاثتكم تفرقون بين الجن والأرواح أليس كذلك؟

- لم أيُوجد فرق بينهم؟

- نعم، هناك فرق، الجنّ معروفة أنها من نار وموجودة قبل الأرواح ولأكون واضحًا الأرواح هي أطياف لأشخاص ماتوا. عادةً يكون السبب من عودتهم هو حماية شخص من مكروه، أو الانتقام، أو قتل شخص ما لأخذه معهم إلى عالمهم. ولسوء حظكم أن نجلا من الصنف الأخير!

- وأنت من أين تعرف كل هذا؟

رد بسخرية: الحظيرة أخبرتني.

بعد كل ما سمعته من الشيخ وأن نجلا روح تُحاول أن تقتلنا تساءلت: "ولكن لماذا نحن من بين الجميع؟ ".

تكلم العجوز وبدا كلامه بعضه مطمئن والآخر لا، قال أنَّ نجلا لا تحاول أن تقتلنا جميعًا ولكنها ستأخذ واحدًا منا فقط، وأننا لو أردنا أن توقفها فيجب علينا أن نسلك

مُنعطفًا صعبًا وهو أن نستدرجها إلى مقبرة ما ونقوم بإحراقها هناك ولكن يجب علينا أن ننتظر لمدة أسبوع ويومين بحيث يكتمل القمر، سأله فيصل: ولم ليس اليوم؟

فردّ: يجب أن يكتمل القمر واكتماله ليس اليوم. ومتى يكتمل القمر؟

- يبدو أن صديقكم ذو حاسة سمع حادة واستيعاب قوي!

ضرب محمد فيصل على رأسه ليسكت، بعدها وقفنا مودعين الشيخ شاكرين إياه، وأثناء فتحنا الباب حذرنا الشيخ من الوقوف لأي شخص كان في هذا الوقت، وأنه علينا إكمال سيرنا حتى نصل لوجهتنا! تعجبنا من كلامه بحيث لم نفهم ماذا يقصد بقوله هذا الوقت! إنها لا تزال الثانية والنصف زوالًا على أقل تقدير، فتحت الباب لأُفاجأ بالظلام يعم المكان التفت لصديقي لأجد ملامح الصدمة نفسها على وجهيهما، سحبت هاتفي لأرى الساعة فإذا هي الساعة السابعة وأربعون دقيقة مساءً! أُغلق الباب من ورائنا بقوة، طرقه فيصل ولكن دون جدوى، سألني قائلًا: "نحن لم نمضي الكثير من الوقت داخل البيت أعتقد أننا جلسنا حوالي العشرين دقيقة كيف يمر الوقت بهذه السرعة؟ هل تمر خمس ساعات

بلمح البصر هكذا؟ إن أمر هذا المنزل غريب حتى أن ضوء الشمس كان يسطع علينا من الداخل ... كيف عرف أني نعت منزله بالحظيرة؟."

لم أجد ما أجيب به فيصل فاكتفيت بالصمت، ركبنا السيارة عائدين إلى المدينة وخلال الطريق لم يتحدث أي منا إلا محمد الذي كسر الصمت بعد نصف ساعة من تحركنا وبدأ يستهزئ ويسأل إن كانت نجلا قادمة لأجل واحد منا وكان يستثني نفسه فردّ عليه فيصل بذات الاستهزاء بأنه جزء منا وستأتي لأجله وأننا "بالهواء سواء "!

فسأل محمد: "إذا كانت تشعر بالوحدة لما لا تقتل أباها العجوز وحسب، سيكون هناك الكثير ليحكياه لبعضهما!".

شعرت بالارتباك الذي يسود السيارة فحاولت أن ألطف الجو، أخبرتهما بكل صراحة أني سأضحي بأحدهما لو لزم الأمر نجاتي.

- أيها الوغد نحن أيضًا لا تمانع التضحية بك، في رأيي تبدو المناسب لتأخذك معها، لقد ركبت سيارتك حين طلبت توصيلها يبدو أنها ستعوضك وتأخذك في جولة هي الأخرى!

ضحكنا الاثنان من كلام محمد ولكن لم يدم ضحكنا حتى رأينا نجلا تقف بمنتصف الطريق أمامي، بقيت أنظر إليها مندهشًا بينما قام محمد بسَحب مقود السيارة ولفه على الجهة الأخرى بقوة لتنجو من حادث محتوم. بدأ محمد بالصراخ على لقلة انتباهي لم أجبه، استدرت الفيصل ونظرت لعينيه فوجدته كان بانتظاري لألتفت عليه، أكمل محمد صراحه ونزل من السيارة ليطمئن على المرأة التي لم يتعرف عليها بعد، نزلنا وراءه فسألته أيبحث عن شيء غير موجود؟ لم يفهم كلامي ولكن نظراتي أنا وفيصل كانت كفيلةً لكي يستوعب ما نقصده، لم يتكلم من الصدمة وأشار بإصبعه بملامح تقول "أكانت هي؟ "، كان صمتنا جوابًا كافيًا له ولكن لم يُصدق وابتعد عنا ونحن نسمعه يقول بأنها من المستحيل أن تكون ابتعدت للغاية ثم اختفى في الظلام وبقينا ننادي عليه.

ثم خرج من الظلام وتجاهلنا، أشار لنا بيده بالذهاب، كانت ملامحه باردة! استغربت لأنه بالعادة ليس بهذه الملامح الباردة أبدًا ، ركبنا السيارة وذلك الصمت المعتاد لم يُغادرنا وفجأةً رنّ هاتفي وصُدمت بالمتصل ولكن آثرت ألا أقوم بأية ردة فعل، جاوبت على المتصل وصدمت بالصوت الذي سمعته ومن شدة صدمتي شردت وتركت الهاتف مفتوحًا ثم قمت بإغلاق الاتصال بسرعة وأكملت سيري بعد فترة شعرت بخفة بجيوبي أوقفت السيارة ثم

بدأت أفتش فيها سألني فيصل عن ما أبحث فأخبرته أني لربما أسقطت مفاتيح بيتي في آخر مكان توقفنا فيه، طلب مني أن أفتش جيدًا وأرى تحت مقعدي لربما أسقطتها هناك ولكني لم أجدها، فعرفت أنه يتحتم علي العودة إلى آخر نقطة وقفنا بها، حيث التقينا نجلا بمنتصف الطريق!

استدرت عائدًا بالسيارة، سألني محمد هل من الضروري العودة فأجبته نعم لأني بكل بساطة لا أريد المبيت: في الشارع، أرادني فيصل أن أتناسى فكرة الرجوع وذكرني بوصية الشيخ الذي قال ألا نقف لأحد بالطريق أو نتوقف بدورنا حتى نصل للمدينة، أخبرته أنه سبق وخالفنا أوامر الشيخ عندما وقفنا قبل قليل، ثم نظرت إلى عيني محمد وأمسكته من يده بقوة ثم قلت: "أليس كذلك نجلا؟."

صرخت بفيصل أن يمسكها وقلتُ له أن هذه نجلا وليست محمد ولكن فيصل تردد ثم اختفت هي الأخرى برمشة عين، لا أعرف من أين جاءتني الشجاعة بتلك اللحظة ولكنها أخطأت عندما آذتني بأحد أصدقائي، أوقفنا السيارة عند الشخص الذي كان يلوّح عند حافة الطريق، لقد كان محمد، رأيت ملامح الذهول على وجه فيصل فأخبرته أننا كل ذلك الوقت كنا راكبين مع نجلا.

أثناء قيادتي وردني اتصال وكان المتصل هو محمد.. في البداية اعتقدت أنه أسقط هاتفه بمكان ما أو ما شابه ولكني لم أرد أن أسأله حتى أتأكد من المتصل ولأن جانبًا مني كان يُخبرني أن المتصل هو نفسه محمد وبالفعل عندما أجبتُ كان صوته وهو يسبّنا ويلعن خيرنا!.. في تلك اللحظة فكرت إن كان المتصل هو محمد فمن هذا الذي يجلس بجانبي إذن؟! ولم أستغرق الكثير من الوقت لأكتشف أن الجالس بجانبي هي نجلا.

فيصل: لهذا السبب لم ترد منك أن تعود أدراجك.

نظر فيصل لمحمد وسأله ما الذي حدث معه فسرد لنا محمد ما حصل معه وأنه لم يشعر بنفسه وهو يُغمى عليه تدريجيًا حتى وقع أرضًا، استيقظ ليجد نفسه وسط الصحراء يحتضنه الظلام الدامس بحث عنا ولم يجدنا ففكر أنه من الممكن أننا واجهنا شيئًا جعلنا نلوذ بالفرار، ولكنه يثق أننا لا نقوم بأمر كهذا، تمشى قليلًا حتى ارتطمت قدمه بكيس أسود فأشعل كشاف هاتفه ليجد أن الكيس حوى على عظام حيوانات.

قلت أنا وفيصل بذات اللحظة: كيس أسود أين هو؟

أشار محمد بإصبعه على بعد عشرة أقدام فذهبنا وبالفعل وجدنا الكيس مرميًا هناك شغلنا مَصابيح هواتفنا وبدأنا تقلب محتويات الكيس، هذه المرة لم أرد أن أتجاهله لأن

ظهوره مرة أخرى لا يعد صدفة، قلبنا محتوى الكيس وبدأت عظام الحيوانات تتساقط ولكن هذه المرة لم يكن مجرد عظام وحسب! لقد تساقطت مع العظام أوراق..

أوراق مربعة مربوطة بإحكام وتعلوها كتابات يصعب فهمها! لغة غريبة أو بالأحرى طلاسم، وبرفقة كل ورقة صورة شمسية والصور كانت تعود لرجال، تحديدًا في عز شبابهم، تغلغل الشك بفيصل وخاف أن تحوي تلك الأوراق على صورنا نحن كذلك!

بدأنا نبحث بين الصور فلم نجد شيئًا، ولم نستطع أن نتعرف على أصحاب الصور أيضًا مع الأسف، بدأنا بفك الصور عن الأوراق المربعة وسكب المياه فوق تلك الكتابات لإبطال مفعولها لأن ما نراه أمامنا واضح أنها أعمال سحرية، عُدنا إلى السيارة وتوليتُ القيادة؛ لقد مررنا بيوم مهول للغاية بحيث لم يتجرأ أحد على الحديث طوال الطريق، أوصلت محمد لمقر عمله حيث سيارته ثم أوصلني فيصل إلى بيتي وذهب.

دخلت غرفتي وارتميتُ على السرير وبقيت أتساءل كيف عرف الشيخ أن فيصل وصف بيته بالحظيرة وما بال الوقت الذي مر بسرعة؟ أنا متأكد أنّنا أمضينا بالكثير نصف ساعة في الداخل، كيف تمر خمس ساعات بهذه السرعة؟ إن عقلي مشوّش للغاية، ولما نجلا اختارتنا نحن من بين الجميع، أستقتل واحدًا منا.. أستقتلني؟ شعرتُ

بالصداع من كثرة الأسئلة التي برأسي، في الوقت الذي أعتقد أني أقترب فيه من الحقيقة أجدني أزيد تساؤلات على أخرى، نمت وأنا عازم على الذهاب إلى والد نجلا في الغد؛ إنه بالطبع لم يخبرنا بكل شيء! نمتُ دون أن أشعر من كثرة التفكير والتخيلات برأسي.

حل الصباح بسرعة وشعرت بأني لم أحظ بنوم جيد، اتصلت على فيصل وأخبرته بأن نذهب إلى والد نجلا لأنه لم يُخبرنا بالقصة الكاملة، أخبرني أنّه لا يعتقد أنّ اليومَ مُناسب للذهاب خصوصًا بعد تهربنا المستمر من العمل ولو تهرّبنا مرة أخرى قد تواجه بعض المتاعب، لقد كان مصيبًا في كلامه، لقد انشغلنا للغاية بقصة نجلا لذا سننشغل حاليًا بحياتنا المهنية ونتناسى قصة نجلا على الأقل في الوقتِ الرّاهن.

9

جبال الإكوارد

في تلك الصحراء ذات الحجارة السوداء والرمال الذهبية

التي بدأت تتشكل على صورة زوابع بفعل الريـح، الصحراء
التي لم تطأها قدم بشرية منذ ستة عشر قرنًا، وبجبلي
الذي هز أركانه صوت صفير الرياح، وعلى عرشي الحجري
الذي تحته أتباعي من جدران هذا الجبل، جلست ورفعت
قدمًا على قدم واستقرت قبضة يدي تحت خدي ورفعت
صوتي وقلت: "جاءت السيدة، أهذا استقبالكم الرائع لها؟
يا لكم من أتباع عديمي الفائدة لا تقدرون هذه النعمة!".

بدأت الرؤوس الكبيرة تتجمع حول عرشي، كانت تُزعجني
هذه الوجوه، كم مرة عليَّ إخبارهم بأني لا أحب البشاعة.
ألن تتخذوا من هذه السيدة الجميلة الجالسة أمامكم
قدوة في الجمال؟ وقف تابعي الأول والمخلص أمامي
فهمست له بشأن البشاعة التي تصطف أمامي فأمرهم
بالتشكل في وجوه لا تتعب عيوني. بالنسبة لي فأنا كنتُ
أتخذ الجميع تابعين لي ولكن حينما أقول الجميع فأنا
أقصد الجميع من جنسي، لم يكن لدي اهتمام بجعل
بشري تابعًا لي ولكن جعلتهم مصدر تسلية، أتبع هذه
العادة من قرون طويلة، إنهم حقًا مصدر تسلية، ولكن!..
أُؤذي من يُؤذيني وأتعامل بعفة مع من لا يُعاكسني، ليس

من مصلحتهم إغضابي! تكلم تابع كعادته عن عادتي التي لم ترقه أبدًا، كان يعتقد أن ابتعادي عن البشر أحسن ما أقوم به ولكن ما لم يعتده بعد أنّي لا أحب من يأمرني أو يخبرني بما عليَّ فعله! لا يحتاج لأن أخبره بهذا وإنما نظراتي تشرح له ما أريد قوله فصمت واستأذنني للخروج فقلت له: "قبل ذهابك فلتنادي على رأس الإبريق الأحمق ليمتثل أمامي."

وقف أمامي أحد التابعين (داسان) على الأقل إنه يقف بوجه يخلو من البشاعة هذا سيُخفّف من غضبي قليلًا، لم أكن أحتاج لأن أغير من نبرة صوتي أو للتحدث بحدة ليدرك الجميع إن كنتُ أشعر بالغضب أم لا، امتثل أمامي وهو منحن فقلت: داسان، أتحاول إغضابي أم ماذا؟

- وهل عاش من أغضبك يومًا؟

- وهل ترد على سؤالي بسؤال؟

- فلتعذر السيدة وقاحتي.

بالأمس عندما زارك الضيوف الثلاثة الذين أخبرتك عنهم، لمَ لمْ تلتزم بما كان عليك قوله؟ أنت تعرف أني لا أحب الزيادات ولا النقصان ما لم يكونا في صالحي! فبأي حق تتصرف من تلقاء نفسك؟

أعتقد أن هذا الأحمق أدرك مدى غضبي وغلطته لم تؤثر كثيرًا ولكن عليَّ أن أضمن ألا يكون هناك أخطاء مرة أخرى

وألا يتصرف أحد بما يراه مناسبا اختلاف الآراء والأذواق هذه أمور أحترمها ولكن بوجودي لا رأي إلا رأيي ولا ذوق إلا ذوقي ولا نقاش بعد كلامي! شممتُ لائحة الخوف تنبعث من داسان فما كان منه إلا أن اعتذر وطلب مني الصفح عنه، فأخبرته بأني بحاجة لعبدين من عبيده أو ثلاثة، هناك ما عليهم أن يقوموا به على الأقل بعد ثلاثة أيام من اليوم ولن أرضى بأي غلطة هذه المرة لأني سأتناسى صِفةَ الصفح التي اعتادوها مني!

10

فيصل

مرت ثلاثة أيام منذ عودتنا من حظيرة ذلك المتمشيخ الحقير، بقينا منشغلين بالعمل هذه الفترة لعلنا نتناسى قليلا أمر نجلا مع أنه. أنه من الصعب نسيانه ومع ذلك ستحاول، رن هاتف مكتبي، كان الاتصال من ياسر، أجبتُ فطلب مني القدوم إلى مكتبه اعتقدت أن الداعي من حضوري هو مناقشة أوراق عمل أو ملفات ما، لكني وجدت أن هناك رفقة معه بالمكتب! لقد كان محمد الجالس هناك مع تعابير وجه لا تبشر بالخير، ما جعلني أشعر بالربكة هو وجودنا نحن الثلاثة بذات الغرفة وتلك التعابير التي تعلو وجهيهما، عرفتُ حينها أن محمد هنا لإخبارنا بشيء مهم سألت عن سبب استدعائي فطلب مني ياسر الجلوس والمحت فوق مكتبه ورقة من أوراق الطلاسم التي رأينا قبل أربع أيام وبجانبها صورة رجل، وحسب رواية محمد أنّ الفضول سيطر عليه المعرفة معلومات عن صاحب الرقم الذي تتصل منه نجلا لكنه فوجئ بصاحب الرقم إذ بدا مألوفًا فتذكر تلك الأوراق، لربما يكون صاحب الرقم وجهًا من تلك الوجوه وبالفعل صُدم بصاحب الرقم! نفس الوجهين صورة بحاسوبه

وصورة شمسية موضوعة فوق طاولته مصحوبة بكتابات شعوذة!

فكرت لبعض الوقت فشاركتهما بما أفكر به وهو أن هذه الطلاسم موجودة منذ ثلاث سنين، استغرب ياسر من استنتاجي فأخبرته أن صاحب الرقم ميت منذ ثلاث سنين ولا يبدو أنه يوجد من هو مهتم بسحر شخص ميت!

صارحنا محمد على عزمه عن البحث عن معلومات صاحب الرقم أكثر لعله يصل إلى طرف الخيط بينما تكلم ياسر وقال بهطافته المعتادة: لنعد إلى والد نجلا يبدو أنه لم يُخبرنا بكل شيء!".

نهيته عن الذهاب إلى المسن لأن الذهاب له ليس له أي رجع وحتى لو ذهبنا إليه ليس لدينا ما نسأله عنه، لقد أخبرنا مُسبقًا تفاصيل موت ابنته وإن كان هناك شخص يجب علينا العودة له فسيكون ذلك المشعوذ الذي يدعي الشيخوخة بالإضافة إلى أنّه لم يُطلعنا بالحقيقة الكاملة، حتى أن الأحداث التالية التي حصلت معنا حدثت مباشرةً بعد زيارتنا له، الأمر لم يعد مزحة الآن؛ إنه متعلق بحياة واحد منا!

اتفقنا على العودة للشيخ وذلك بعد أن يتقصى محمد عن صاحب الرقم الميت وعن معلومات وظُروفِ وَفاته. في

المساء وعند انتهائي من دوامي اتصل علي محمد أرادني
وياسر أن نذهب لبيته للعشاء ولبينا طلبه.

11

محمد

استيقظتُ لأجد نفسي مرميا على الأرض وسط الصحراء لم أذكر تحديدًا سبب وجودي وما حصل قبل أن أفقد الوعي، ومع ذلك بدان تدريجيًا أستعيد ذاكرتي وأنّي كنتُ مع فيصل وياسر ونزلت لأبحث عمن ادعيا أنها نجلا، بالتفكير بالأمر والمحيط الذي أنا فيه الآن إني أشعر برعب شديد! ماذا لو خرجت لى الآن وتشكلت أمامى؟ حتى أنى لا أملك وسيلةً لمواجهتها أو الدفاع عن نفسي، بحثت بالأرجاء والسيارة التي نزلتُ منها لم تكن موجودة فكرت في نفسي: "لربما واجها شَيْئًا جعلهما يهربان"، ولكنهما ليسا بتلك الحقارة التي تسمح لهما بتركي وراءهما، فاتصلت على ياسر ولكن عدم رده على صراخي لم يطمني فقام بفصل الخط بوجهي، لم أجد لي أي سبيل سوى أن أتمشى لعلي أجد من يُقلني وأثناء سيري اصطدمت رجلي بشيء أصدر خشخشةً ما، صوبت مصباح هاتفي عليه فما كان إلا كيسًا أسود تجاهلته وأكملت سيري لا أعرف لما ولكني أردت أن أرى ما الذي يحضنه هذا الكيس بداخله لأنه

لم يبد قديما أو متهالكًا، فتحته ولم أرى إلا عظامًا بداخله يبدو أن سيارة تناولت بعض اللحوم وألقت به قبل قليل،

واصلت سيري حتى ظهرت أمامي أضواء السيارة قادمة نحوي بدأت أشير بيدي لها لعل سائقها يتوقف وكان السائق للصدفة هو ياسر، وعرفت حينها أن من كنت أخافها تشكلت على هيئتي وذهبت مع رفيقي.

سألاني عما حدث معي فحكيت لهما وأثناء إخباري لهما تذكرت الكيس الأسود وتذكرت أنهما أيضا وجدا كيسًا أسود من قبل فأخبرتها بشأنه ووجدنا بداخله آخر ما كنا نتوقعه، طلاسم!

قمنا بفكها ورشها بالمياه وقبل ذهابنا قمت بإدخال بعضها بجيبي لأني أُريد التمعن فيها لاحقًا.

انشغلت بعملي خلال ثلاث أيام وكنت كل ليلة أعود فيها من العمل أنشغل بتلك الطلاسم لفهم معناها أو المقصد منها، فى الليلة الثالثة بينما أنا أقلب الصور رأيت صورة مألوفة ولكن أين؟ بقيتُ أعصر ذاكرتي العلي أتذكر ولكن دون فائدة، طر ببالي معرفة معلومات عن صاحب الرقم الذي تتصل منه نجلا فتحت حاسوبي وظهر ملفه أمامي، لم يكن هناك أي شيء مُريب بملفه فأغلقت حاسوبي وقمتُ لأخلد إلى النوم، فجأةً تذكرت الوجه الذي كان في الصورة لمن! قمتُ مُسرعًا من السرير، فتحت الحاسوب ودخلت لملف صاحب الرقم فظهرت معلوماته أمامي وبها صورته الشخصية، وذات الصورة الشخصية إنها

موضوعة فوق طاولتي وهي مرفقة بكتابات طلاسم! إذن هذا يعني أنه يوجد داعي من ظهور الكيس مرتين على التوالي....

في اليوم التالي قصدت مكان عمل فيصل وياسر وشاركتها ما حدث معي وعرفنا من استنتاج فيصل أن هذه الصور موجودة قبل ثلاث سنة لذا لمعرفة القصة الكاملة وعلاقة صاحب الرقم بنجلا عزمت على التقصي بنطاق أوسع عن صاحب الرقم وأي معلومة تخصه، طلبت مساعدة معار في الموجودين في سلك الشرطة لأجل الوصول إلى ملف تحقيقه واستغربت بعض الشيء من تقارير موته التي كانت مريبةً قليلًا: إذ لم يكن هناك سبب للوفاة، حيث أعتبر أنه مفقود وحسب بدون أي دلائل تدل على موته فعلًا، اعتبر في عداد الموتى بسبب الفترة الطويلة التي لم يظهر فيها، ملف التحقيق الخاص به أُغلق قبل فترة، فلم يكن مني إلا أن أبحث عن عنوان منزله ، أي شيء يُوصلني لأهله وبالفعل وجدت مكان سكنه ، قابلتُ والديه اللذان يعيشان بمفردهما بعد زواج ابنهما البكر وسفره لدولة في الخارج، الظاهر أن صاحب الرقم الذي كان اسمه معاذ ليس لديه أي اخوة باستثناء أخوه المتزوّج، تسنى لي الحديث مع والديه اللذان كانا بغاية التواضع وحسن الضيافة، لم أرد المراوغة فسألتهما مباشرة عن تفاصيل موت معاذ فسألني والده إن كنت

صديق ابنه فنفيت ذلك ثم سألني إن كنتُ من سلك الشرطة فنفيت أيضًا ولكني طمأنته أنه لو قام بمنحي ثقته لربما أعرف شيئًا يخص ابنه فعلى حد علمي أن قضيته لا تزال مجهولة وقد أغلقت قبل فترة بدون أي نتيجة.

خرجت والدة معاذ وبقيت مع والده بمفردنا أخبرني بمعلومات مبدئية وهي أن مُعاذ ابنه الثاني ويبلغ من العمر أربعة وثلاثين سنة وهو أعزب، كان سائق سيارة أجرة، بالعادة يستيقظ معاذ مبكرًا ليبدأ عمله ثم يعود لبيته عند الظهيرة لأخذ قسط من الراحة ثم يرجع لعمله وينتهي الليل، بعد انتهائه من دوامه بوقت الثامنة والنصف ليلًا تقريبًا فإنه لا يخرج بعدها إلا إذا تلقى اتصالًا طارئًا يجعله مجبرًا على تلبية التوصيلة وكانت هذه الاتصالات أغلبها للمستشفيات و اتصالات حالات خاصة لم يُشارك والديه بها، وعلى حسب رواية والده فإن معاذ تلقى ذات ليلة اتصالًا من نوع الحالات الخاصة ويبدو أنه كان آخر اتصال وتوصيلة له، حيث خرج مباشرةً ولم يُخبر والديه إلا بأنه سيعود قريبًا، مرت ساعتان ولم يعد معاذ للبيت فلم يكن من والديه إلا الاتصال على الوكالة التي يعمل بها لربما يكونون على علم بمكانه ولكن لم يكن للموظفين أي علم بمكانه فقصد الاثنان الشرطة فأعلمتهم الشرطة بأن عليهم انتظار الأربع وعشرين ساعة القانونية حتى يتم البحث عنه وبالفعل بعد مرور المدة وجدوا سيارته في

أحد الأحياء القديمة ولكن لم يجدوا أثرًا لمعاذ، استمر البحث عنه لمدة ستة أشهر فأعلن أنه اختفى وبدون أثر وتركت القضية مفتوحة ثم أُعلن مجددًا أنه ميت.!

استأذنت والده للذهاب إلى غرفة ابنه لعلي أجد شيئًا يُساعدني بخصوصه فأخبرني أن الشرطة بدورها قامت بتفتيشها مُسبقًا دون أن يصلوا لأي شيء، ومع ذلك سمح لي بدخولها. كانت الغرفة في الدور العلوي، دخلتها وبدت كأي غرفة عادية تقليدية، لم يكن هناك أي شيء مثير أو مُلفت للنظر، وكما لم تجد الشرطة أي شيء لم أجد أنا أيضًا، بعدها ودعت الوالدان وأخبرتهما أنّي قد أضطر للاتصال بهما أو العودة بوقت ما ثم ذهبت.

12

ياسر

لبينا دعوة محمد لنا لأجل العشاء، كان الداعي من الدعوة هو أن يخبرنا بما توصل إليه بعد بحثه عن معلومات عن صاحب الرقم، الذي اتضح أن اسمه معاذ، لم يصل محمد إلى الكثير من المعلومات والتي أهمها هي معرفة ما علاقة صاحب الرقم بنجلا! أخبرنا محمد بأنه سيقوم بطريقة أخرى وهي الولوج إلى سجل الاتصالات الخاص بمعاذ المعرفة مع من كانت آخر مكالمة له مع زبونه فقال فيصل:

- ليس من الضرورة أن تكون آخر مكالمة له مع زبون لربما كانت مع شخص آخر.

هز محمد رأسه بالإيجاب ثم قال وهو يمد لي هاتفه:

- تذكرت، خُذ وألقي نظرة على والد معاذ.

أخذت الهاتف وبقيت أتمعن في الصورة جيدًا، معاذ لا يُشبه والده للغاية ولكن بإمكان الشخص أن يُميز أنه والده من خلال ملامحه، اتفقنا أن نلتقي غدًا عند شركة الاتصالات حيث يعمل محمد بعد دوامنا، من عملنا وتوجهنا إلى مقر شركة الاتصالات حيث كان محمد باستقبال أدخلنا إلى مكتبه وأخرج آلة موصولةً بسماعات

وربطها بحاسوبه وبدأ يبحث عن رقم معاذ فأخبرني أن آخر مكالمة من هذا الرقم كانت لي أنا، فأجبته بأنها كانت نجلا. وضع السماعات على أذنيه وبدأ بالاستماع، أثناء عدت وفيصل لبيوتنا وفي اليوم التالي انتهينا من عملنا مُبكرًا أو بالأحرى هربنا استماعه بدأت ترتسم على وجهه ملامح الرعب والخوف بمجرد محاولتي سؤاله ما خطبه قام بنزع السماعات فورًا ووجهها لي لأستمع، شعرت بالخوف بل الرجفة مما أستمع له، لقد كان صوتي مسموعًا وواضحًا بينما خلت المكالمة من صوت نجلا واستبدل صوتها بكلمات غير مفهومة تارةً صوت فحيح أفعى وتارةً أخرى كطلاسم والصوت يُشبه بقبقة وطقطقة بالفم! أصوات وكلمات مزعجة ومرعبة وبذات الوقت تُسبب شعورًا بعدم الراحة.

تحوّل محمد إلى المكالمة التالية التي بدت أنها قبل ثلاث سنين، المكالمة التي دارت بين صاحب الرقم معاذ وزبونه الأخير! ظهر أن وقت المحادثة كان منذ تاريخ 2014، فتح محمد صندوق المحادثة ليسمع فحواها، كانت مكالمة عادية وكان الزبون امرأة طلبت من معاد أن يُقلها هي وصديقتها إلى عنوان ما وبدا أنهم في مكان يخلو من سيارات الأجرة أو مراكب توصيل لذا فإنهما في وضع محرج، امرأتان لوحدهما في الليل وبمكان خالٍ لذا لم يكن

هناك خيار لمعاذ إلا أن يُقلّهما لأن هذا ما تنص عليه مبادئه ... هذا كان مضمون المحادثة.

طلبت من محمد إعادة تشغيل المحادثة حتى أقوم بتدوين العنوان الذي قصده معاذ. كان العنوان يبدو أنه لإحدى الأحياء الفقيرة والقديمة، اتفقنا أن نخرج الآن ونذهب للتقصي عن الأمر لعلنا نجد أي شيء يوصلنا للسائق.

13

استغرقنا في الطريق أربعين دقيقة حتى وصلنا إلى العنوان، كان المكان خاليًا من أي حركة تمامًا! تجمعت على حواف الرصيف أتربة يبدو أنها تراكمت على مدى سنين وبعض الأكياس التي تتطاير أعلى رؤوسنا ونعيق الغربان المزعج التي بدا أنها تتراقص مع الأكياس، البنايات تصدأت وبدأ طلاؤها يتقشر، نوافذ مفتوحة تفتح وتغلق بفعل الريح، كان انطباعي الأول عن الحي أن البشر لم يسكنوه منذ سنين طويلة، هذا الفراغ جعله يبدو وكأنه مدينة أشباح، ما لفت نظري هو لافتة تتأرجح مجيئًا وذهابًا بدت أنها لمعمل خياطة، اقتربت لأرى المكان.

كان محروقًا بالكامل أدرت بناظري نحو الجدران المحروقة المسودة من الحريق وآلات خياطة من تفحمها أدركت قوة وشدة الحريق، بعض القماش المبعثر في الأرجاء بعضه أصبح رمادًا.. بعد كل البحث المطول لم نجد ما يُفيدنا خرجت من الورشة فسمعتُ وقع أقدام أقرب إلى طرق على الأرض نظرتُ لمصدر الصوت لأجد رجلا يتمشى فى الأرجاء، شكله أوحى لى أنه متسول، ناديت عليه لأساله عن المعمل والحي بشكل عام، سلمتُ عليه وسألته عن سبب الحريق بالداخل فأخبرني أن هذا المعمل قد احترق منذ أربع سنين تقريبًا، لقد نتج بسبب تسرب بالغاز.. أو بالأحرى هذا ما يقوله الجميع.

شعرت بالاستغراب من كلام المتسول لأن زبائن معاذ اتصلوا من هذا المكان منذ ثلاث سنين وهذا الواقف أمامي يخبرني أن الحريق منذ أربع سنين! سألته إن كان متأكدًا من المدة التي أخبرني فأجابني أنه متأكد مئة بالمئة وأن هذا المكان هو المكان الذي يحتمي فيه من ظلام ووحشة الليل.

سألته مرة أخرى إن تسبب هذا الحادث بأية خسائر بشرية أو جرحى، على حسب كلامه إنه من دواعي الصدفة لم يكن هناك الكثير من العاملات باستثناء امرأتين هما المسؤولتان عن الورشة وللأسف احترقتا حتى التفحم!

شعرت برعشة وأنا أسمعه يروي لي كيف احترقت المرأتان حتى الموت ففارقتا الحياة بسبب الاختناق وضيق التنفس وحبستا بالداخل واحترقتا حتى الموت.

لفت انتباهي عدم وجود أي ساكنين بالحي والمنازل من حولي مهجورة مع أنها تدل على وجود ساكنين من قبل سألت المتسوّل بهذا الخصوص وقال: "أوه نعم، كان هذا الحي عامرًا ولكن بسبب بعض الظواهر مؤخرًا اضطر القاطنون هنا للهرب من الحي!".

نظرت لفيصل وقلت: "ظواهر، أي ظواهر؟ لا أعتقد أني فهمتك بعد".

- حسنًا لكي لا أُطيلَ عليك، صادفت الليلة التي احترقت فيها يوم الأحد لذا غالبًا ما كان الساكنون بالحي يسمعون أصوات صراخ قادمة من الورشة وضجيج أشياء تكسر كل ليلة أحد.

سأله فيصل بسخرية: باعتقادك أنها أصوات النساء اللائي احترقن؟

رد بحماس: نعم بالطبع وليس هذا فقط! بل إن صراخهم أشبه بصراخ شخص يطلب النجدة، فسر الجميع هذا على أن الصوت صوت المرأتين، أو بالأصح روحيهما!!

ضحك عليه فيصل بشدة ثم رفع يده وأنزل أصبعين ورفع ثلاثة أصابع كأنه يُخبرنا بشيء يتكوّن من ثلاثة، فهمتُ لاحقًا مقصدَه وحَدَقتُ به بقوة مثل الأمهات لكي يسكت ولا يتفوه بأي هراء، سألت المتسول إن كان شخصيًا سمع هذه الأصوات فرد عليَّ بالإيجاب وأنه يسمعها أي شيء خارجًا! لدرجة أنه تعود على الأمر وأنّ الأصوات بداخل الورشة وأنه لا يُصادف بعد أن أخبرني بهذا شعرت بالفضول وتساءلت أيضًا، لو شعرت أنا بالفضول بمجرد سماعي للقصة ألا يكون هذا المتسول قد جرب وشعر بهذا أيضًا؟

فصل خاص

قلة وندرة من المباركين من يقابل السيدة، لا يُقابلها إلا أسيادنا وتابعها الذي لا يتبعها أساسًا لأنها تتحرك بشكل مستقل، كنا لا نعرف بدخولها وخروجها من الجبل الا من أسيادنا وكنا نتلقى أوامرها منهم أيضًا، كما تلقينا آخر أمر منها منذ ثلاثة أيام.

تم اختياري مع اثنين مثلي لتنفيذ مهمة للسيدة، على الرغم من مكانتها الرفيعة بين أمثالها وأسيادنا إلا أنها شخص مختلف للغاية، غايتها لم تكن السلطة ولا المكانة لأنها تحظى بهما بالفعل إنما كانت غايتها غريبة مثلها تمامًا وهي العبث مع البشر.

كوني لم أجرب ذلك من قبل فأنا لا أعرف كيف يبدو ذلك وما هى المتعة التى تنالها السيدة من ذلك، ولكنى سمعت من الأسياد وتمن هم قبلي من التابعين أنها تمارس هذه العادة وكأنها طقس من الطقوس منذ أزل الزمن حتى أنها قد ظهرت المرات لا تعد ولا تحصى أمام مخلوقات الطين، أنا لا أشعر بالقلق من ظهورها الدائم أمامهم ولكني أخافُ على أنفسنا بسبب خروجها لهم، ليست المرة الأولى ولن تكون الأخيرة أيضًا التي تقوم فيها السيدة بإرسالنا بمهمة التخالط معهم، لذا إن تلقينا الأوامر منها فيجب أن تتم على أكمل وجه، وإن كان هناك زيادة أو

نقصان بما لا يُرضيها فذلك يعني أننا قد ندفع الثمن ولكن بحياتنا .. لا نستطيع الاعتراض على ما يملى علينا فعله لذا كل ما يجب منا فعله هو أن نمتثل للأوامر كحيوانات أليفة بكل سمع وطاعة.

تم استدعائي إلى جبال الإكوارد فلبيت الدعوة، لاقيت السيد داسان وبعض الرفقة وقد طلبنا لأجل أمر يتوجب علينا إنجازه بعد ثلاثة أيام، ويجب أن يُنجز على أكمل وجه وإلا كانت العواقب وخيمة هذه المرة! أُعطِيتُ المعلومات التي أحتاج معرفتها وما يجب عليَّ أن أنطقه وأفعله وما لا يجدر بي، نعم.. يتم إخباري بمهمتي التالية وهي التشكل أمام بني الطين والتمثيل أني منهم!

بعد ثلاث أيام وبالموقع الذي أُمرت أن أتواجد به جاء ثلاثة أشخاص كما كانت تتوقع ودوري يبدأ الآن ودور رفيقي يبدأ لاحقًا...

المتُسوّل

حسنًا، قبل أربع سنوات تمامًا كان هذا الحي عامرًا بالساكنين والحركة كأي حي آخر، وبالجانب هناك تلك الورشة والتي تُعتبر أكبر ورشة خياطة قد تراها، حتى إنها شغلت مساحة كبيرة، أصوات الخياطة وضحكات نسائها يتردد صداها بالحي.. لا شيء غير اعتيادي حتى الآن وفي ليلة هادئة من الليالى المعتادة وبالتحديد ليلة الأحد قبل أن ندخل بيوم جديد كسر ذلك الهدوء صراخ شديد، وكان واضحًا أنه صراخ نساء، اشتدت وتعالت الأصوات لينزل أهل الحي ويُفاجؤوا بأن معمل الخياطة يحترق وبشدة حاول الرّجال فتح الباب ولكن كان محكم الإغلاق بحيث لم تستطع مجموعة كاملة منهم فكه، نظر أحدهم إلى النافذة فوجد أن الورشة خالية من عاملاتها الكثر باستثناء المشرفتين اللتين كانتا تُغلقانها بوقت متأخر عادةً.

ظلتا تصرخان وتطلبان النجدة تحت مسامع الجميع العاجزين عن فعل أي شيء.. بدأت الصرخات المتهافتة تقل شيئًا فشيئًا حتى اختفت وتوقفت تمامًا! بعد وصول الشرطة والإطفاء والجهات المختصة كانت روحاهما قد ودعتا جسديهما، بعد مجهود كبير مع ذلك الباب تم فتحه بصعوبة وأخيرًا ولكن بعد فوات الأوان.

دخل الفريق الذي يسمى بالمحققين الجنائيين أو كيف كان اسمهم؟

أولئك الذين يرتدون بذلا بيضاء ويُمسكون كاميراتهم؟..

نعم.. لقد دخلوا إلى الداخل وقاموا بتصوير الجثث المحترقة أو لنقل عنها المتفحمة قبل أن يتم نقلها إلى أكياس سوداء ووضعها بسيارة الإسعاف، تم إغلاق الورشة بأشرطة صفراء لمنع مرور أحد للداخل وبعد تحقيق لم يدم طويلًا تم اكتشاف أن الحريق كان حادثاً نتيجة التماس كهربائى ممّا أحدث انفجارًا صغيرًا ولكن ساهم في قوة الانفجار الغاز المُعدّ للمَكاوي التي تستعمل بعد الخياطة (مكواة) وكما ترون كم هو كبير حجم هذه الورشة في الطبع ستحوي على عدة مقابس كهربائية.

ولكن الغريب بكل هذا هو الباب الذي تم غلقه بإحكام!

اقترب من الثلاثة الواقفين أمامه ثم همس: "البعض يعتقد أن الأمر جريمة تم التدبير لها!". ثم غمز مرتين وهو يُحني رأسه.

حسنًا، بعد هذه الحادثة بفترة قصيرة بدأت بعض الأشياء الغريبة تحصل ولكن بشكل متقطع، لم نكن نعرف مواعيد حصولها تحديدًا ولكن بعد مدة من الملاحظة انتبهنا إلى أنها لا تحدث بطريقة متقطعة عشوائية كما

اعتقد البعض بل بطريقة متقطعة منتظمة، بل ذات معنى أيضًا!

في كل ليلة أحد حوالي الساعة التاسعة والنصف وبالتحديد من الورشة تصدر بعض الأصوات والضجة المزعجة ثم رويدًا رويدًا سرعان ما تتعالى أصوات صراخ وتلك الأصوات تبدو أصواتًا نسائية وأيضًا.. تلك الصرخات.. إنها مألوفة للغاية! لم يتجرأ أحد من أهل الحي في بادئ الأمر على التقدم والتأكد مما يحصل في الداخل لذا اكتفوا بسماع نفس الأصوات التي تكررت كل ليلة أحد، ذات ليلة تبرع أحدهم للتقدم ورؤية ما يحصل في الداخل، وبمجرد اقترابه من النافذة المربعة ليضع رأسه ويتحقق توقفت الأصوات تمامًا! بصراحة هذا لم يكن أمرًا صادمًا للبعض كما كان لغيرهم، ابتعد المتطوع قليلًا عن الورشة ثم عادت الأصوات مباشرة، لا أعتقد بأن أحدهم يفكر بالاقتراب مرة أخرى؛ أعتقد أن الرسالة قد وصلتهم.

مع الوقت، بدأ السكان هنا يسأمون الوضع لذا بدأ الجميع ينتقلون من هذا الحي واحدًا تلو الآخر حتى فرغ تمامًا كما ترونه.. أما عن نفسي.. أنا لم يكن الأمر يعنيني للغاية فوجود الأصوات من عدمها سيان بالنسبة لي لأني لم أتعود على المنازل والحياة الراقية وغيرها، لقد تعودت على النوم في الشوارع أما عن الصراخ فإنه لا يختلف عن نباح الكلاب بالليل وغناء القطط المزعج قبل بدء أي

قتال. أكانَ صُراخُ النسوة مخيفًا؟ نعم لقد كان كذلك لا يمكنني أن أجحد هذا، في ليلة من الليالي طفح كيلي وصبري وقررت أن أنصاع لفضولي وأواجه هذا الخوف المرة القادمة، في ليلة الأحد وبانتظار الوقت الموعود وأخيرًا! بدأت أصوات التكسير لتفتَتِح الليلة المزعجة ثم بعدها بمدة تنطلق شرارات حريق حتى تُصبح حريقًا كاملًا ثم أخيرًا صوت الصراخ.. بقيت أنتظر بمكاني حتى تبدأ الضجة الحقيقية ثم بدأت الصيحات تتعالى وتقدمت بثقل شديد نحو الورشة وعند وقوفي أمامها شعرت برعب لم أشعر به من قبل، استجمعت قواي ثم استرقت نظرة من النافذة وفجأة توقف الصراخ وكل ما كان يتبعه وكأن شيئًا لم يكن. بمجرد أن خطوتُ خطواتي الأولى مبتعدًا عن المكان حتى عادت الأصوات التي كنتُ أسمعها قبل قليل مباشرة! تجمدتُ في مكاني مع عدم تمكني من الالتفاف خلفي ولكن مع ذلك استعدت رباطة جأشي للعودة والتأكد مجددًا ولكن! المرة الثانية كانت مختلفة عن المرة الأولى بحيث لم أصدق ما تراه عيناي! كان الحريق يعم الورشة، وامرأتين تحترقان تتخبطان ببعضهما البعض وتمدان يداهما نحوي وكأنها تطلبان نجدتي لأخرجهما من الحريق، من هول المنظر الذي رأيته خانتني قدماي ولم أستطع الفرار فسقطت على الأرض مغمى علي.

استيقظت في الصباح التالي لأجدني مرميًا بمكاني ومنذ ذلك الوقت وأنا أتعايش مع الوضع منذ أربع. أربع سنين، وسأتعايش معه للسّنين القادمة أيضًا بحكم أني تعودت.

محمد

سرد لنا المتسول كل ما حصل ليلة تلك الحادثة بالتفصيل، حمل كل منا ملامح الصدمة والدهشة مما سمعناه فسأله فيصل عن الأصوات: هل ما زالت موجودة أم أنها توقفت؟".

فرد عليه الآخر بأنها لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، نظرتُ إلى الاثنين نظرةً خبيثة وسألتهما إن كانا يعرفان ما هو اليوم؟ وبسؤالي هذا كنت أعرف من منهما سيوافقني بما أفكر ومن لا!

وبالفعل أبدى فيصل رفضه الشديد وتحجج بالسفرة التي علينا اليوم أما عن ياسر وكعادته قال: "اليوم هو الأحد 26 نوفمبر! فيصل اهدا ... ألا تملك أدنى فضول للاكتشاف؟ دعنا نبقى ونرى."

أصر فيصل على موقفه وعلى رفضه القاطع في عدم البقاء وأنه علينا أن تؤجل هذا إلى يوم آخر، ذكرته أنه لا يزال هناك وقت أمامنا لأجل السفر أما عن البقاء هنا فلا أعتقد أنّه سيكون له وقت مرة أخرى خاصة أنه تبقى لنا فقط خمسة أيام من أصل أسبوع ويومين.

- خمسة أيام لأجل ماذا؟

-ألم يقل الشيخ أنه تبقى على اكتمال القمر فترة وقد مر منها أربع أيام! لذا لنبقى هنا الليلة ونرى ما سيحدث.

- وماذا لو أصابنا نفس مصير معاذ؟ إنه مفقود إلى يومنا هذا ولا أحد يعرف مكانه بل لا أحد يعرف إن كان حيًا أو ميتًا!

قبل أن أجيبه ردّ عليه ياسر بغضب: أهذا ما يُخيفك إذن؟ ما العلاقة بيننا وبين معاذ ذاك؟ إن كنت خائفًا فلتنقلع وحسب.

حاولت تهدئتهما لكي لا يَنشَب شِجار نحن في غنى عنه، أقنعت فيصل بما أني أنا وياسر نُريد البقاء فلينصع لرغبتنا وحسب لأنه الوحيد الَّذي يَبْغِي الذهاب. وبالفعل استسلم فيصل لنا، تجولنا قليلًا في الحي ثم أعطينا المتسول بعض المال ليجلب لنا وله ما نأكله ولكنه صدمنا بأنه لا يُريد أي أكل فقط إن تبقت بعضُ العِظام من أكلنا فلنعطها له لأنه لا يستطيع الأكل بسبب ألم في فمه لذا سيكتفي بمص العظام، لم تجادله كثيرًا حيث أصر على رغبته، ذهبنا وجلسنا بالسيارة.. مر الوقت بسرعة دون أن نشعر به تارةً نتبادل الحديث وتارةً نتحوّل إلى هواتفنا، حلت الساعة السابعة والنصف وتبقت ساعتان على الحدث، حاولنا أن نُشغل أنفسنا بأي شيء.. مر الوقت، وحلّت الساعة التاسعة وعشرون دقيقة وبقينا

مترقبين لما سيحصل خلال العشر دقائق القادمة، اعتدلنا في جلستنا وصوّبنا أعيننا نحو الورشة في صمت مُخيف جدًا وكان كل ما تسمعه هو صوت الريح يضرب زجاج سيارتنا وصوت أنفاسنا المتثاقلة وقد أُبالغ قليلًا لو قلت صوت دقات قلوبنا ولكن بذلك الهدوء والظلام من حولنا كان بإمكاننا أن نستشعر ما حولنا، ننتظر فقط اللحظة المنتظرة.. طرقت زجاجة نافذة فيصل بقوة شديدة، قفزنا جميعا من أماكننا بينما أضاف فيصل صرخةٌ مَعصورة عند قفزه كالفتاة من شدّة خوفه، نظرتُ فرأيتُ المتسوّل.. أنزل فيصل نافذته وسأله بعنف ما الذي يُريده فرد عليه:

إنها التاسعة وخمس وعشرون دقيقة بقي خمس دقائق فقط.

فيصل وهو يعصر قبضته ويأخذ زَفيرًا طويلًا: جئت لهذا فقط؟

-نعم، هذا فقط.

- انقلع أيها الكلب لدينا ساعاتنا وهواتفنا ونجيد قراءة الوقت انقلع! (بصراخ شديد).

قام ياسر بتهدئة فيصل وشكر المتسوّل وأشار له بيده ليرحل، قلت لياسر: "لقد صرخ بوجه المتسول لخرجه من سماعه لصرخته الأُنثوية المعصورة، لا بأس فيصل

لقد أثبت لي اليوم صحة مقولة "داخل كل رجل أنثى رقيقة"".

بقي ياسر كاتمًا ضحكته حتى انفجرت أولًا فتبعني ضاحكًا، ضحكنا وبقينا تستفزه خلال تلك الدقائق المتبقية حتى حلت الساعة التاسعة والنصف تمامًا، وجهنا أبصارنا مرةً أخرى إلى الورشة تنتظر أي صوت أو حركة.. مرت خمس دقائق أُخرى كاملة والهدوء يعم المكان تبادلنا النظرات بيننا بشك وكل ينظر لساعته وعدنا بنظرنا مرةً أخرى للورشة ولم تلحظ أي شيء، نادى فيصل المتسول ونزل من السيارة ووقف أمامه وسأله: "أين الذي أخبرتنا عنه؟ ها اه؟."

بدأ يضرب دواليب السيارة: "ضيعنا نصف يومنا هنا، لو أننا سافرنا للحظيرة لكنا قمنا بفائدة لهذا اليوم، صدقتم هذا الخرف البهلول ولم تستفد من بق... لم يُكمل فيصل كلامه إلا ونحنُ نَسمع صوت تكسير صادر من الورشة من الصدمة لم نستدر حتى، بقينا واقفين متجمدين وأفواهنا المفتوحة وصلت الأرض من شدّة الرعب، بدأ صوت التكسير يعلو أكثر وأكثر بينما تقدّم المتسوّل بابتسامة نصر ونظرة ثقة ثاقبة لوجه فيصل وكأنه يتحداه، كانت ملامح وجهه تقول: "ألم أخبرك هاه؟". وابتسامة النصر تعلو مُحيّاه، هذا الرجل لا يشعر بأدنى أو ذرة خوف مما يحدث الآن! بالطبع لقد تعود على هذا بحيث لم يعد

يشكل له فارقًا بينما نحن الثلاثة أقدامنا تجمدت ولا تقدر على الرمش حتى من شدة الذعر، حاولت أن أستجمع ولو قليلًا من شجاعتي لأحرك قدمي لمصدر الصّوت وأتأكد مما يحصل في الداخل ومن هو الشخص الذى يقوم بالتكسير هكذا ولكنى لم أستطع أن أحرك ساكنًا ليس لأن قواي الجسديّة خارت وحسب بل حتى قواي العقلية بحيث لم أستطع أن أستوعب ما يجري خاصةً بعد أن مرّت علي لحظة الديجافو التي جعلت عقلي يتشتت أكثر، بجانب محاولتي لاستيعاب ما يحدث، الشيء الآخر الذي كنتُ أقوم به التلويح بناظري إلى رفيقي الخائفين مثلي، لقد تجمدا من الرعب، عيونهما وثغراهما مفتوحان إلى آخرهما والشفاه مرتجفة، أثناء ذلك جاء المتسوّل الحاقد على فيصل بشدّة وقال: "يا بطل، أليس هذا ما كنت تنتظره؟ إذا اذهب وألقي نظرة، لقد رأيتك قبل قليل تستعرض رجولتك! إذا هيا أكمل استعراضك واذهب للتحقق."

فجأة! توقف الصوت دون سابق إنذار ثم عاد كل منا إلى صوابه، تحركنا مسرعين لنرى من تلك النافذة المربعة ما يحصل.. لم تكمل حتى رأينا نارًا وشَرارات حمر تطلع من تلك النافذة، توقفنا بأماكننا، لأن باب الورشة لم يكن مغلقًا بالكامل، استطعنا أن نرى من فتحاته انطلاقة حريق كبير كان يشتد رويدًا رويدًا ليُصبح أقوى، ثواني

معدودة وإذ بنا نسمع صوت صراخ نساء يصدر من الداخل إنّه يرتفع ويتعالى شيئًا فشيئًا! هذه المرة على خلاف السابقة تشجعنا لمحاولة التقدم والنظر لما يجري بالداخل، بخطوات متثاقلة وصلنا إلى باب الوصول الذي لا يتمناه أحد.. المنظر الذي رأيته يعجز اللسان عن وصفه! مُرعب.. تخيف.

رهيب... أحتاج لكلمة أقوى من هذه الكلمات لأصف ما كانت تصوّره لي عيناي، لو استطعتُ أن أضع مشاعري على ورق دون اللجوء الصعب للتعبير بالكليمات لفعلت، تمنيت لو أني استطعت أن أكذب ما أراه ولكن من كان ينقل لي الحدث هما عيناي، بما أني تقدمت لكل ذلك الحد كان من المفترض ألا أشعر بالخوف الشديد هكذا ولربما يقول البعض أنه كان يجب علي أن أتوقع ذلك ولكن بصراحة أنا لم أتوقع ذلك لأني اعتقدت أنه بمجرد وصولنا فإنّ الأصوات وكلّ شيء سيتوقف، كما حدث مع من هم من قبلنا، توقعي كان خاطئًا للأسف لأن ما كان بانتظاري هو ورشة يعم الحريق والصهد أنحاءها، لَهَب برتقالي مصفر وسيدتان لا يُمكن أن أقول أنها تحترقان بل إنهما تذوبان من شدة السنة اللهب التي تلتهمهما،

تمدان يداهما نحونا كأنّها تطلبان النجدة وتصرخان من شدة الألم.. مهلًا لحظة!! هل الأموات يتألمون؟ للحظة تذكرت أن ما أمامي ليسا سوى طيفين أو روحين! لقد ماتا

منذ وقت طويل.. إذا الشيء الذي تقومان به هو إعادة تمثيل ما حصل تلك الليلة قبل أربع سنين.

اكتفيت مما أرى، سحبت صديقي للذهاب، خاصة أن الوقت تأخر، الآن بتنا نعرف قصة آخر مكان قصده معاذ لو ربطنا الأحداث ببعضها لربما تستطيع أن نعرف أيضًا أين هو مكان معاذ، ولكن سنقوم بذلك بعد أن نرحل من هنا...

قام فيصل بإيصالنا، مرت عليَّ الليلة بطء ولم أستطع النوم من شدة تفكيري بما رأيت....

14

ياسر

استيقظتُ لأجد نفسي في قرية نجلا، تحديدًا في بيت والدها، استيقظتُ وأنا كلي دهشة كيف وصلت إلى هنا وما الذي أفعله هنا؟ وصدقًا! أنا لا أستطيع تذكّر أي شيء، حاولت سحب هاتفي لأرى كم الساعة ولكني لم أجده، حاولت استرجاع ذاكرتي علي أتذكر ماذا حصل قبل وصولي إلى هنا ولكن دون جدوى، لففت رأسي لأتدارك تفاصيل البيت الذي ساده الهدوء باستثناء صوت عقارب الساعة ولكنني لا أراها وأيضا الصّوت عديم المصدر، مهما حاولت أن أتتبعه تبوء محاولتي بالفشل! انتصبت بوسط هذا الهدوء وصوت عقارب ساعة يروح ويجيء يمينًا ويسارًا، أثناء هذا لفت انتباهي شيء أمامي.. لا بل خلفي! إني أرى انعكاسه من زجاج النافذة التي أمامي.. هل قلت شيئًا ما؟ لأكون صادقًا أنا بنفسي لا أعرف إن كان ما خلفي هو شيء ما أو... أو شخص ما!

أثناء وجودي بالغرفة اكتفيت فقط بالوقوف مرتعبًا مُوجّها بصري إلى الزجاجة التي أمامي محاولًا بشتى الطرق إزاحة نظري عنها ولكن لسبب أجهله أني عاجز عن فعل ذلك، الذي لا أعجز عن فعله هو الوقوف فقط سابحًا في خوف وذعر شديدين، لا أستطيع التحرك قيد أنملة أشعر

بقطرات العرق تتساقط على جبيني.. بل شلالًا من العرق أقف ببيت خال لوحدي وخلفي يقف شيء أو شخص لا أعرف ماهيته تحديدًا! ظل أسود عديم الملامح فارع الطول، بذكر أنه عديم الملامح إلا أني أحس بأنه يُحدق بي، ينظر لناحيتي.. في تلك الأثناء حصل ما كنت خائفًا منه! ربما حصل بالأحرى لأني كنتُ أفكر فيه، بدأ هذا الشيء يتقدم نحوي بطريقة ثابتة دون أي وقع للأقدام، يتقدم وكأنه لا يتحرك، حاولت أن أسمع طرق أقدامه لأعرف سُرعة تقدمه نحوي ولكن الشيء الوحيد الذي أسمعه كما قلتُ مُسبقًا هو صوتُ عقارب الساعة عديمة المصدر.

تيك تاك.. خطوة.. تيك تاك.. خطوتين.. تيك تاك.. تيك تاك... لقفتُ رأسي بسرعة لأواجهه قبل أن ينقض عليَّ ويا للمفاجأة اختفى تمامًا ولم يعد له أثر! لا يُمكنني تكذيب عيوني، لقد رأيته من انعكاس المرآة ... نعم المرآة، بمجرد لف رأسي لها ها هو هذا الشيء مرة أخرى ولكن هذه المرة ليس خلفي بل أمامي! إنه يُقابلني لا أستطيع أن أقول يُقابلني وجهًا لوجه لأني لا أرى له أي وجه، بقيت واقفًا برعب وأشعر ببرود أناملي وفي نفس الوقت أحاول أن أتعرف إلى ما يقف أمامي، إن أحسنت الوصف فأنا أعتقد أن هذا الذي أمامي هو الجاثوم، ربما، لا أعرف ولكني أنظر إلى ظلام حالك مهما حاولت أن تتعرف عليه فأنت تنظر

إلى الفراغ وإلى اللا شيء، فجأةً وبلمح البصر يدين ساخنتين جدًا أشعر بها حول رقبتي، إنهما لا تخنقانني وحسب بل تلتفان حول عنقي كالتفاف الأفعى بفريستها، شعرت بالاختناق وانقطاع نفسي، ولكن مهلًا!! بدأت تتشكل ملامح أحدهم على هذا الظل! إنها ملامح إنسان.. وهذا الإنسان ليس بغريب على أبدًا، لقد رأيت وجهه من قبل! ربما في صورة؟ نعم.. هذا هو.. إنه والد معاذ!

استيقظت فزعًا وكلّي عرق وأشهقُ بصعوبة بالغة لأكتشف أن هذا كان مجرد حلم بل كابوس بكبره، شربت بعض الماء محاولًا عدم نسيان تفاصيل الكابوس الذي رأيته، كان تفكيري كله مصوبًا نحو الوجه الذي رأيته والذي كان وجه والد معاذ، أذكر أنه خلال تحقيق محمد عن معاذ قد أرانا وجه والده العجوز، نظرتُ إلى ساعتي.. الوقت السابعة إلا ربع وصوت عقارب الساعة الذي كنتُ أسمعه في المنام هو صوت عقارب ساعتي الذي تسلّل إلى الداخل بحلمي، نهضت وجهزت نفسي مبكرًا قبل حلول موعد الإفطار، جلست مع نفسي أُفكر قليلًا، بطبعي لستُ الشخص الذي ينسى الأشياء المهمة ولا يُعطي للأمور حجمها الذي تستحقه، أحب التعمق في أدق التفاصيل ومعرفة كيف تدور الأحداث من حولي.. هذه المرة سيذهب تفكيري فقط للعجوز الذي رأيته بمنامي لم يبد كما رأيته بالصورة لقد بدا أصغر بقليل.. كان شابًا، لم

أستطع التعرف عليه من أول مرة ولكن ذاكرتي لم تحنى واستطعتُ أن أتعرّف عليه من خلال ملامحه، والسؤال الذي يجول في ذهني الآن: "لما هو من جاءني بحلمي بالذات؟". عليَّ ألا أتجاهل ما رأيت خاصة أني في وقت لا يجب عليَّ فيه أن أتجاهل أي شيء لأن الأمر أصبح متعلقًا بحياتي!

مر الوقت بسرعة دون أن أشعر، تناولت إفطاري وذهبت إلى دوامي بذهن مشتت، التقيت فيصل كعادتي فقال: "لننهي دوامنا مُبكرًا اليوم وراءنا مشوار سفر.. ياسر.. ياسر هل تسمعني؟."

قام بطقطقة أصابع أمام وجهي حتى عدت لانتباهي فرفع رأسه يمينًا ويسارًا كأنه يسأل إن كنت بخير، فطمأنته أني بخير وأنى شردت قليلًا فقط، كرر ما قاله لى فهززت رأسى بالموافقة.

داومنا لمدة ست ساعات متتالية حتى لا تثير شُبهة مديرنا بسبب غيابنا المتكرر، اتصل علي فيصل ليُخبرني أنه بانتظاري في الأسفل مع محمد، نظمت أوراقي المبعثرة على المكتب بسرعة وخرجت، سلمت عليهما وركبنا السيارة ذاهبين للشيخ أو (الحظيرة) كما كان يناديها أحدهم، خلال ساعتين وصلنا ، قرعنا الباب، انتظرنا قليلًا، ثم فتح لنا ذات الفتى من المرة السابقة، سألناه عن

الشيخ فأشار لنا بإصبع للدخول ثم مد كفه نحو الأريكة لنجلس دون أن ينطق بكلمة كعادته، أثناء انتظارنا همس لنا فيصل يذكرنا بما حصل المرة السابقة بهذا المكان وأنه يجب علينا أن نكون أكثر حذرًا هذه المرة، هَزَزنا رأسينا بالموافقة، مرت حوالي دقيقتين من الانتظار نكزنا محمد دون أن يتكلم وهو يشير لنا بحاجبيه لتنظر للخلف، إلى الباب الذي يُفترض أن الشيخ خرج منه المرة الفارطة وكانت الصدمة الباب.. الباب هل تحرك من مكانه؟ من المستحيل أن نتوهم نحن الثلاثة دفعة واحدة، كنتُ لأصدق أني أتوهم لو أن من لاحظ هذا أنا لوحدي حدّقنا ببعضنا باستغراب، قال فيصل: لتعذر الباب لقد شعر بالملل فأراد أن يُغيّر مكانه."

أثناء ذلك خرج العجوز مقبلًا نحونا ورحب بنا ولم يرد عليه أحد، سألنا عن سبب مجيئنا فردّ فيصل بسخرية: ألا يُفترض أنك تعرف؟

فرد بسخرية غاضبة: لا حبيبي معا الأسف لا أعرف.

تشكلت ملامح الغضب على فيصل فأمسكه محمد من ذراعه فأكمل الشيخ قائلًا وهو ينظر لي: إن كنتم جئتُم إلى هنا بسبب أو بدون سبب فدعوني أختصر عليكم من الآن، ياسر، الكابوس الذي راودك البارحة ليس من فراغ، أنا وأنت نعلم ما أقصده..

قاطعه محمد وهو يقول: ماذا؟ كابوس؟ لم أفهم!

غمزت له لكي يسكت ففهم وأكمل العجوز قائلًا: أعتقد أنك رأيت ظلًا أسود وقد تشكلت لاحقًا ملامح على ذلك الظل، وأظن أنك تعرفت عليه أليس كذلك؟

- نعم لقد فعلت.

- حسنًا، ذلك لم يكن من عبث كل الأجوبة التي تريدها ستجدها والآن ليس لديكم ما تسألوني عنه وليس لديّ ما أخبركم به لا أستسمحكم عذرًا.

نهض فيصل يركض وكأنه يهرب من شيء ما وفتح الباب بسرعة ونظر للخارج ثم أعاد بصره إلينا وقال: لا تزال الشمس موجودة!

نهضنا لننظر للخارج وفعلًا كانت الشمس موجودة على نقيض المرة السابقة تساءلت كيف حصل ذلك المرة السابقة؟ أردت أن أسأل الشيخ فإذا بالباب يُغلق من خلفنا بقوّة، لكن من الإيجابي أن الوقت لم يمر على الأقل. بسرعة كما حدث من قبل وهكذا ستتفادى الكارثة التي حصلت مُسبقًا على الأقل.

قلت: هيا لنذهب قبل أن....

فوجدت أن فيصل ومحمد يحملقان في من الأسفل إلى الأعلى سحبني فيصل وبدأ يستجوبني بسخرية حيال كلام

الشيخ عن الحلم الذي حلمته فأخبرتها بأن نركب السيارة ثم سأشرح لهما كل شيء بالتفصيل.

ركبنا وحكيت لهما ما رأيتُ بالتفصيل الممل، بدت الدهشة على وجه محمد فقال: لو أخبرتني بهذا قبل مجيئنا إلى هنا لم أكن لأُعركَ اهتمامًا غالبًا ولكن الآن بعد تكلم الشيخ بنفسه بهذا بدأت أشعر بشيء من التوتر، ألا تشعر بأن كل هذا مترابط ببعضه البعض؟ من أين عرف الشيخ بخصوص والد معاذ وهل إيجادنا الصورة معاذ كان محظ صدفة أو أن كل شيء مخطط له؟

بقيت صامتًا للحظة قبل أن أرد أنا لا أعرف.

بدأ فيصل ينظر للأرض كأنّما يُفكّر أو يستذكر شيئًا ثم قال: محمد، أنت تعاملت مع والد معاذ من قبل أُريدك أن تحجز لنا موعدًا معه.

- حسنًا، حجزته، ثم ماذا بعدها؟

- بعدها ستتصرف نحن لديك اليوم بأكمله حتى تكلّمه لتلتقي به غدًا لعلنا نجد جوابًا لكل ما يحصل وتذكر... بل تذكرا نحن نقوم بكل هذا لأنه مرتبط بحياة واحد منا.

فصل خاص

كل شيء مخطط له ويسير بحسب رغبتي وإرادتي.

أَجيدْ (والد معاذ)

1

مر وقت طويل على استقبالي للضيوف، حتى بعد اختفاء ابني لم أتلق طارقًا لبابي يواسيني عنه، أظنني مشتاقًا لأحد يقرع بابي، مُشتاقًا للعالم وللناس، بعد سنين طويلة أتلقى زُوّارًا ولكن.. لسبب ما فإن قلبي ينغزني الأمر سيئ في انتظاري ربما شيء يخص الماضي؟ كلما شعر الإنسان بضيق بصدره أو باقتراب مصيبة أو كارثة ما فإنه سيتذكر أسوأ شيء قام به في حياته أو كل المصائب التي قام بها، هذه الأشياء ستلاحقه مرة أخرى، أنا لا شيء يدعوني للخوف؛ لأنّي تَخلّصت من كل مخاوفي ومن كل من قد يحفر الحفرة التي دفنت فيها شروري وخشياتي.. مع أن حدسي لم يُخطئ يومًا فإني سأحاول تجاهله لهذا اليوم على الأقل.. لأتفاءل بالخير حتى أجده، جهزتُ مَأدبةَ طَعام لم يحصل مثلها من قبل قط لأقابل بها زواري لليوم هذا ولتحلّ البركة بيتي لأني كلّي ثقة بأن ضيوفي اليوم يحملون لمسامعي أخبارًا جيدة.

15

ياسر

فتح الباب رجل عجوز عمره بتقديري في الستينات أو في بدايتها، حسن المظهر واللبس ويرتدي عمامة ليست بكبيرة ولا صغيرة، لحية خفيفة بيضاء من الشيب ووجهه ليس غريبًا عليَّ بما أني رأيته بهاتف محمد من قبل، سلّم علينا ورحب بنا ترحيبًا حارًا وأدخلنا لمجلسه وكان لائقًا بأسلوبه وراقيًا للغاية، بمجرد دخولنا وجدنا أمامنا مأدبة طعام فرشت بشتى أنواع الأكل قال فيصل بابتسامة وهو يحك رأسه ويدعى الإحراج: لم يكن هناك داعٍ لكل هذا يا عم لقد أتعبت نفسك، أساسًا لم نأت لأجل الطعام بل أتينا لأجلك."

نظرتُ فيه أنا ومحمد من الأعلى إلى الأسفل نظرات يملؤُها العَجَب والسخرية، كلانا نعرف أنه جاء لأجل الطعام إلا هو!

طلب منا والد معاذ والذي اتضح أن اسمه "أَجيدْ" بالجلوس والتصرف كأننا في بيوتنا وأنه نادرًا ما يتلقى أي ضيوف.

جلسنا حول المأدبة المقامة لنا وبقينا نتبادل الأحاديث السطحية محاولين فتح أي موضوع ريثما ندخل بالأساس، انتهينا من الأكل وتحركنا نحو الأسرة لنجلس،

جاءت عيني على فيصل وهو يغمر لي ويُحرك رأسه لأتكلم مع الشيخ بسرعة وأدخل في صُلب الموضوع وأنا أهزّ له بحاجبي ورأسي بمعنى انتظر التفت إلى أَجيدْ فإذا به يصب لنا القهوة عندما وصل عندي أخذت دفعة من الهواء وقلت بصوت هادئٍ ومسموع: "نجلا!".

اهتزت يد أَجيدْ التي تمسك بالإبريق وتفتحت عيناه إلى آخرهما ورأيتُ الذهول والذعر بوجهه، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه، نظر لوجهي نظرة خاطفة ثم إلى الأرض ثم الإبريق، وكل هذا حصل في ثوانٍ!

تابعت قائلًا: "أتعرفُ أحدًا بهذا الاسم؟."

رفع حاجبيه واعتلت محياه تعابير حيرة مصطنعة وقام بنكران معرفته لأحد بهذا الاسم، سألته إن كان متأكدًا، رد عليَّ بحذر هذه المرة أيضًا بأنه لا يعرفُ أحدًا بهذا الاسم فقلت بتردد: "حتى عندما كنت شابًا؟."

حدق بي بنظرات أقل ما يُمكن أن أصفها به أنها نظرات حادة غاضبة وقاتلة وبذات الوقت تحمل قليلًا من التوتر والخوف، أدركت أني سأواجه اثنين لا ثالث لهما طردي من بيته أو طردي من بيته! لذا علمتُ أنه يجب عليَّ أن أُصيب شَيئًا حساسًا بالنسبة له ألا وهو ابنه! أخبرته أن سكوته ليس من صالحنا ولا من صالح ابنه وأن الأمر كله متعلق بابنه!

أَجيدْ (والد معاذ)

2

ضيوفي الملاعين الذين اعتقدت أنهم يحملون لمسامعي أخبارًا جيدة كانوا يحملون لها الهم والنكد اللعنة عليهم وعلى حدسي وعلى الضيوف وعلى الناس بأكملهم، ذو الشعر الطويل الذي كان اسمه ياسر لقد أصابني في شرياني ووريدي وقلبي عند ذكره لأبني معاذ، محاولة النكران لا جدوى منها، يبدو أنهم يعلمون أمرًا ما وسبب مجيئهم هو التأكد منه مني شخصيًا، ولكن مع ذلك لا خيار أمامي...

مُنذُ حوالي أربعين سنة أو ما يُقاربها ذهبت أنا ومجموعة من الرفاق إلى بلد أجنبي من اختيارنا لأجل السياحة ذهبتُ أنا ورفاقي بدون عائلتي، ولأني كنتُ من عائلة مقتدرة ماديًا ومتحضرة بذلك الوقت فإنه لم يكن لديهم مانع أن أذهب بمفردي، حسنًا، ولأكون صادقًا الهدف من الرحلة هو الاستمتاع بوقتي والسهر والتجوال والخروج طوال الوقت، ذات ليلة بينما كنتُ والرفاق عائدين من البحر بوقت متأخر من الليل والشارع مظلم، فجأة!

وبدون سابق إنذار طلعت لنا فتاة بمنتصف الطريق الخالي وأذكر أني كنتُ السائق حينها بذلك الموقف.. حصل الأمر بسرعة، لم أكن متمكنًا من إدراك الوضع

مبكرًا ومن شدة توتري.. بدلًا من ضغط مكابح السيارة دُستُ على دَوّاسة السرعة ثم.. ثم دهستها بدون قصد.

من الصدمة حينها لم أعرف ما يجدر بي فعله نزلت من السيارة وذهبت للتحقق إن كانت قد فارقت الحياة أو لا، كانت الأرض مملوءة بالدماء، فزعتُ من المنظر جدًا! لقد تملكني الخوف، على بعد أمتار من جسدها المستلقي على الأرض لمحت حقيبتها المرمية، ركضت لأفتشها لعلي أعرفُ عن من صدمتها شيئا، وجدت على ما أذكر بطاقتها المدرسية وفهمت حينها أنها في رحلة مدرسية، وأنها من دولة عربية، واسمها نجلا.

أنا خفت.. خفت للغاية، ومن شدة خوفي لم أجد إلا أن ألوذ بالفرار مع معرفتي أنها كانت حية بذلك الوقت ولكن لم أكن واعيًا حينها لأعرف أن ما قمت به خطأ بل ذنب لا يُغتفر، أنا أُدرك هذا بعد فوات الأوان.

عدت للوطن بعد يومين من الحادثة وكنت لا زلت لم أتخلص من خوفي بعد مدة بدأت أعمال والدي بالتدهور شيئًا فشيئًا وتراكمت عليه الديون ثم أعلن إفلاسه بوقت لاحق، بعد زواجي ماتت والدتي وبفترة ليست بالطويلةِ الحِقَها، والدي، رُزقتُ بولدين الأول متزوج والآخر مفقود منذ ثلاث سنين لا أعرف أميتُ هو أم حتى، في الحقيقة أنا

لم أفكر يومًا أن أخبر أحدًا بكل هذا كنت أنوي أن أدفنَ سِرّي معي وأُدفنَ معه...

16

فيصل

صادفت بحياتى حفنة من الأوغاد والوقحين ولكن يبدو أن وقاحة هذا العجوز تجاوزت حدها.

كنت خائفًا؟ مم كنت خائفًا تحديدًا؟ هل من أن يتم اعتقالك أو من الذنب الذي اقترفته مع أني لا أرى ذرة ندم لعينة منك!

مع أني بل مع أننا على علم مسبق باسم الفتاة التي قام بدهسها إلا أننا صدمنا ونحن نسمعه ينطق اسمها "نجلا."

شعرتُ برعشة بجسدي عندما قام بنطق اسمها بينما الآخرين بقيا مطأطئي رأسيهما دون أن ينبسا ببنت شفة، لقد كان محمد محقًا فعلًا، كل شيء مربوط ببعضه وكلّ ما نُقابله يكون له علاقة ما بجانب القصة.

فجأة سأل أَجيدْ عن مصدر معرفتِنا بما حصل وأن أغلب رفاقه قد لاقوا حتفهم منذ زمن طويل فأنى لنا معرفة هذا؟

لم أتمالك نفسي ثم صرخت فيه: وما دخلك هاه؟ ولك عين وقحة لتسألنا، مهلًا! ألستَ خَجِلًا الآن من نَفْسِك؟

محمد وقد اعتلى ملامحه الانزعاج والغضب: يُستحسن أن تُبقي فاهك مكتومًا.

مكتومًا؟ الآن نحن الثلاثة متورطون ومن الممكن أن يموت واحد منا لم يا ترى؟ ألديك الإجابة عن هذا أو أيعقل أنك لا تعرف؟ هممم أو تفضل بالبقاء صامتًا، حسنًا لا علينا أنا سأخبركم القصة وما فيها أن هذا الرجل المحترم قام منذ سنين طويلة بقتل شابة بريئة وفر هاربًا من العدالة طوال هذه المدة، ثمّ ماذا؟ عادت روح هذه الشابة مرة أخرى ولكن لم عادت ولأجل ماذا؟ عادت لأجل أخذ حياة واحد منا نحن الثلاثة بينما الجاني الحقيقي سيفلت مرة أخرى ومن سيُعاقب بدلًا عنه هم أشخاص لا يعرفون أين وضعهم الله، واو يا إلهي يا للمفاجأة!!

أعتقد أنّي اكتفيت من الحديث.

17

ياسر

سمعنا الراوية الكاملة من العجوز، لن أكذب ولكن لم أتوقع ولا واحدًا بالمئة أن يكون له يد في هذا، بل في الحقيقة كان هو رأس القصة بأكملها نظرت إلى محمد وفيصل الذي يبدو أننا لن نستطيع كبته هذه المرة وبالفعل فقد أفرغ جام غضبه على أَجيدْ ولم تستطع أن نتكلم لأن كل كلامه كان حقيقيًا، بعد أن تحدّث عن العقاب أخبرته أن أَجيدْ قد عوقب في ابنه معاذ، فصرخ في يُخبرني بأنه لم يُعاقب في ابنه أبدًا، وأنه لو كان كذلك لم يكن سيربطنا بالموضوع شيء.

إنه محق بهذا أيضًا لو عُوقب بابنه لما ربطتنا صلة بأي من هذا ولكن لو كانت نجلا تنوي على أَجيدْ لم لم تقتله وحسب لم تنوي على واحد منا نحن الثلاثة؟

في تلك الأثناء انتبه أَجيدْ لجملتي عندما قلت إنه عوقب في ابنه فسألني ماذا أقصد؟ وصلنا لمرحلة لا نستطيع أن تخفي فيها شيئًا عنه فأخرج محمد من جيبه ورقة الطلاسم التي أرفقت بصورة ابنه وشرح له كل ما حصل معنا كان يبدو على أَجيدْ عدم التصديق لما يسمعه ولكنه كان في موقف يُجبره على التصديق ففي النهاية كل الأدلة أمامه والسر الذي أراد أن يموت ويدفنه كشف بآخر

لحظة! سألنا لما أخبرنا الشيخ بالذهاب للمقبرة ليلة البدر، فأخبرته: "علينا استدراج نجلا بليلة البدر إلى المقبرة ومحاولة حرقها هناك، ولكن هذا ليس بالشيء الهين، استدراجها؟ هذا مستحيل.. إنها ليست بذلك الغباء الذي يُمكننا من سحبها إلى هناك.... لم أكمل كلامي فإذا بها تفي يرن، لقد كان الرقم رقم معاذ ولا أحد يستخدم هذا الرقم غير نجلا، نظر محمد للهاتف وقال: أجب وضع على مكبر الصوت ". ففعلتُ وبقيت صامتًا للحظات ثم سمعت: "استدراجي إذن؟ ليس سيئًا، لا بأس سأوفر عليكم مشقة استدراجي وآتيكم بنفسي شخصيًا دون أن تضطروا للتفكير بخطة غبية عديمة النفع ولكن... شرطي الوحيد مقابل خدمتي العظمى هو أن تحضروا معكم العجوز الحرف الذي يمد آذانه الطويلة ويستمع لكلامي، ولتعلموا! لتعلموا أنكم إذا ما جلبتموه معكم فإن مجيئي للمقبرة سيظل حلمًا ورديًا في أمخاخكم الصغيرة."

محمد وقد اعتدل في جلسته ليُسمع صوته بالهاتف: أعتذر لرفض عرضك المغري ولكن لن تحضره معنا!.

- الأمر ليس بيدك لتقرّر مجيئه من عدمه وليعلم ما دام أنه يستمع لي الآن أن الأمر متعلق بابنه قرة عينه الذي يدفع أخطاء والده.. هيا هيا لابنك مرة أخرى ولكن أستطيع أن أعدك بأني سأبذل قصارى جهدي لأجل هذا".

عانقته وهي تبكي، ثمّ نظر إلي، بعدها نهضنا خارجين من المكان، أثناء خروجنا قال محمد الأجيد: "جهز نفسك لبعد غد تمام الساعة السابعة والنصف".

شغل محمد السيارة وهو يقول بصوت ثابت: "سينتهي كل هذا بعد عد لنكن بالموعد الساعة السابعة والنصف".

لقد كان محمد جادًا للغاية وهو يتكلّم، بل لقد كانا كلاهما جادًا كما لم يكونا من قبل، بقينا هادئين طوال الطريق لا نجد ما نتكلم حوله، الموت.. إنّه مُخيف للغاية، أفكر هل سيجدني الأسبوع القادم حيًا؟ أفكر بالأشياء التي كنتُ أخطط لفعلها مستقبلًا ولكن لا أحد يعلم ما ستؤول إليه الأمور لاحقًا، لو أني أحظى بوقت أطول قليلًا.. ولكن حسنًا لقد انتهى وفات الأوان لنمت الآن وحسب، اللعنة!

تكلم محمد مقاطعًا تفكيري: "على الأقل نحن نعرف أن معاذ حي الآن ومقابل إنقاذنا لحياته سيخسر أحدنا حياته، على كل أنا ذاهب بعد غد لأواجه مصيري كيفما كان لأني لا أريد أن أظهر بمظهر الجبان.. أنا أشعر برضًا تام عن نفسي، أنا.... ثم سكت، وصلت لبيتي دون التفوه بكلمة عند نزولي، دخلت وبصراحة لم أكن أعرف بما كنتُ أشعر تحديدًا في ذلك الوقت، أحاسيسي كانت مختلطة للغاية، خوف، توتر، عزيمة، رغبة بالاستمرار،

ورغبة أخرى بالانسحاب من كل هذا، لم أعرف تحديدًا ما أريد أن أختار لأفعله، هذا العالم قاس، إنه يُعاقب الأبرياء لينجو الجناة بفعلتهم هذا العالم قاس وشديد القساوة حقًا.

ذهبت إلى غرفتي وارتميت على سريري، أردت النوم لأهرب من واقعي الأليم الذي أنا فيه، لا أريد أن أُفكر. ضع يديك على أذنيك وأغلق عينيك.. لا تسمع.. ولا ترى.

حل الصّبحُ ولم أشعر بنفسي متى نمت، استيقظتُ وأنا مغمور بشعور غير مفهوم ذات الشعور الذي نمت عليه البارحة، ضيق بصدري، أفتتح صباحي بالفكرة التي نمت هربًا منها نظرت للأرض مطولًا ثم سألتُ نفسي بصوت مسموع: "ما الذي يحدث لي ولم يحدث لي؟". دائمًا كان السيئون هم الأفاضل عند الناس؟ نعم، إنهم كذلك! كانت وقاحتهم سلاحهم ضدّ الناس على الأقل يضمنون عدم تعرض أحد لطريقهم خوفًا من هذه الوقاحة، وفي الجانب الآخر الطيبون أو كما أحب أو نُحب أن نسميهم "الحمقى" هذه الفئة هي الأكثر عرضةً للمشاكل والخداع، تسامحهم وطيبتهم السبب الرئيسي لمعاناتهم، إذن! ما الذي يجدر بهم فعله حتى يتمكنوا من العيش بهذا العالم القاسي، هل عليهم أن يتخلوا عن مبادئهم ويُصبحوا أشخاصًا أو غادًا ويتسموا بصفة الحقارة لكي يستطيعوا العيش؟ هل عليهم أن يكونوا كالبقية فعلًا، هل هم

مضطرون للقيام بصراع البقاء هذا؟ تغيير نفسك ومبادئك ليس بالأمر اليسير، تتماشى كالماشية لرغبات وإرادة غيرك وعلى طيبتك يتم السخرية منك "طيبتك هذه لا تنبع كم قلبك أيعقل أنك تتصنع هذا لتبحث عن المديح؟"، هذا تفكير أصحاب العقول الخاوية كما أفضل أن أسميهم الطيبة التي تنبع من الخوف من كلام الناس ونظراتهم تبدو صادقة بالنسبة لي، قد لا يتوافق الكثير بهذا ولكن أنا أصدق بهذا، أعتقد أني سأعترفُ الآن بهذا: لو أننا كنا أوغادًا أنا وفيصل مع نجلا في تلك الليلة ورفضنا دخولها المبنى من الأساس لم نكن لنصل إلى كل هذا، تعاطفنا وشفقتنا عليها أدى بنا لكل هذا، ولكن هذه ستكون عبرة ودرسا للمرة القادمة، هذا .. إن كان هناك مرة قادمة!

أمضيتُ يومي كله بالبيت أحاول نسيان ما ينتظرني بالغد ومن ناحية أخرى أنتظر الغد الذي أنا خائف منه، أريد فقط أن أعرف نتيجة هذا كله.. ما هي نتيجة طيبتنا؟

18

بقيت أشغل نفسي بالدوام وأضغط على نفسي حتى لا يتسنى لي أي وقت أستغله بالتفكير بما سيحصل لاحقًا، مر الوقت بسرعة مع أني لم أكن أريده أن يمر، حانت الساعة السادسة وكان لا بد من الذهاب رن هاتفي وكان المتصل فيصل أجبت وسمعته يقول: هل غيرت رأيك؟ أو بالأساس نحن لا نعرف رأيك مطلقًا لأنك لم تخبرنا به، على كل نحن في الأسفل بانتظارك، إذا أردت المجيء فنحن هنا وإن لا فأفعالك ستكون جوابًا كافيًا لنا.

سألته باستغراب: أفعالي؟

- نعم... سنظل منتظرين لمدة عشر دقائق وإن لم تظهر سنحترم رغبتك ون.....

لم يكمل فيصل كلامه حتى ظهرت أمامه، ركبت السيارة وأخبرته بأني لن أكون أجبنهم وألوذ بالفرار لأني أنا أيضًا أريد معرفة إلى أين سيؤول الأمر وسبب ذهابي غالبًا هو السخرية من موت أحدهما لأني كلي ثقة بأن نجلا ستصفح عني.

محمد بضحك: بصراحة السبب الحقيقي من تجيئنا هو تقديمك كقربان لنجلا.

ضحكنا على الرغم من الأسى الذي كنا نشعر به، خفت أن تكون هذه آخر ضحكة لي مع صديقي، نظرت لمحمد

وأخبرته أني أيضًا أشعر بالرضا الكامل عن نفسي، ابتسم ثم انطلق بنا إلى منزل أجيد الذي كان بانتظارنا، كان سلامنا له باردًا للغاية أما عن فيصل فلم يُسلّم عليه من الأساس..

دلنا أجيد على طريق المقبرة، وصلنا بسرعة بحكم أن المقبرة لم تكن بعيدة عن بيته كثيرًا، بقينا ننتظر حتى يحل الظلام جيدًا وفي الساعة الثامنة دلفنا إلى الداخل..

ما لفت انتباهي هو عدم وجود حارس المقبرة لقد استغربت قليلًا ولكن من المفترض ألا أستغرب من أي شيء مطلقًا خصوصًا بعد ما مررتُ به في الأيام السابقة!

دخلنا بحذر شديد وبدأنا تلف بالأرجاء لعلنا نلحظ أي شيء مثير للريبة ولكن لا شيء أبدًا يدعو للشك أو يلفت الانتباه، مرت ساعة.. ساعتان.. ولا يزال الوضع على حاله، سأل أجيد محمد إن كانت نجلا قد غيرت رأيها ولكنه أخبره بأن ينتظر بعد، بقينا ننتظر لوقت طويل حتى اقترب الليل من منتصفه فعزمنا على الرحيل حتى استوقفنا صوت يقول: "إني أراكم مستعجلين للغاية! ألم تصلوا لتوكُم؟".

استدرنا جميعًا نحو مصدر الصوت فإذا بها نفس المرأة ذات القامة الطويلة والأعين الحادة الواسعة والشعر الطويل المنسدل والقوام الرشيق، نجلا! فجأةً سَمعنا صوت زُجاج سيارة محمد ينكسر مع صوت صراخ لم تستطع آذاننا أن تميزه أمر فيصل محمد بأن يركض

بسرعة ويتحقق مما يحدث، ركض محمد مسرعًا وعند خروجه أغلق الباب بطريقة غريبة من تلقاء نفسه، بقيت أنا وفيصل ننظر لبعضنا برعب ثم عدنا بأنظارنا بحذر لنجلا، كان هناك شخص يقف خلفها على الرغم من ضوء البدر إلا أننا لم نستطع تمييزه على عكس أجيد الذي استطاع أن يتعرف عليه فصرخ: "معاذ!".

بقيت أنظارنا نحو نجلا التي بدأت تقترب من ناحيتنا، بقينا أنا وفيصل متجمدين في أماكننا من شدة الرعب ومعاذ الذي كان خلفها لم يحرك ساكنًا، بدا أنه واقف ولكن دون وعي.. اقتربت منا نجلا للغاية ولكن ما حصل أنها تجاهلتنا وذهبت إلى أجيد الواقف خلفنا بمسافة عشرة أقدام... عند مرورها بجانبنا شعرنا بحرارة شديدة تنبعث منها ومع ذلك لم نتجرأ على التحرك من شدة الخوف، بعدما تجاهلتنا نظرنا وراءنا لنرى ما الذي تُريد أن تفعله بأجيد وسرعان ما أدرنا رؤوسنا لنرى... فوجئنا بالمنظرِ الذي جعل الدم يتجمد في عروقنا! اشتعلت النار بجسد العجوز! لا ندري كيف ولكن إنّه يحترق بدأ بالصراخ وسقط على الأرض يتدحرج يمينًا ويسارًا.. كان منظرًا مهيبًا بحق! لم نستطع أن نقترب منه حتى خوفًا من مواجهة نفس مصيره، أما عن ابنه فهو الآخر ينظر بثبات دون حركة وكأنه مخدّر كان هناك سؤال واحد بخاطري لنجلا وهو: "لماذا؟ " . ولكن بالطبع لن أتجرأ

وأفعل، أنا بالكاد أقف على قدمي بدأ صوت العجوز يتلاشى شيئًا فشيئًا حتى توقف فعرفنا حينها أنه.. مات! لفت نجلا نحونا وبدأت تخطو باتجاهنا وبكل خطوة تتقدمها أشعر بالموت يقترب مني، ومن سيرها عرفت أنها تقصدني، قمت بدفع فيصل بعيدًا حتى لا تقترب منه وتؤذيه، اقتربت مني، كانت تنبعث منها حرارة شديدة ووضعت فمها في اذني وهمست همسات كالصهد قائلة: "ليس كل الطيبون يدفعون ثمن طيبتهم".

ثم تجاهلتني وأكملت للأمام حتى اختفت وسط الظلام! بعدها بثوانٍ سمعنا صافرات الشرطة والإسعاف، دخلت الشرطة للمقبرة ورأوا منظر أجيد المحترق ووُجوهنا نحن الثلاثة المفجوعين، تم إلقاء القبض علينا واتضح لاحقًا أن من اتصل بالشرطة هو حارس المقبرة، تم تكبيل أيادينا وأخرجنا من المقبرة، لمحت بين الحشود محمد الذي بقي واقفًا ينظر لنا بصدمة دون أن يفهم ما يجري وصلنا إلى مخفر الشرطة وتم استجوابنا، كنتُ أعرفُ أن أيا مما سنقوله لن يُؤخذ بعين الاعتبار وأنه ستتم معاملتنا كالمجانين ولكن ما شفع لنا قليلًا هو معاذ خصوصًا بعد ظهوره المفاجئ بعد كل هذه السنين، شهد لصالحنا بأن النيران اندلعت بمفردها على جسد والده، حاول محمد إخراجنا بكفالة ولكن الأمور لم تكن بهذه السهولة بعد فترة وجيزة حُكم علينا بالسجن لمدة سنة أنا وفيصل ..

كانت تلك السنة عصيبة علينا للغاية خصوصًا بعد كل هذه الأحداث التي عشناها.. مرت السنة علينا وكأنها عشر سنين أعتقد أني تصلبت خلالها وشُحِذَ عَقلي خلالها عند انقضاء فترة سجننا خرجنا وكان باستقبالنا محمد، كان هناك الكثير من الأسئلة برأسي قررت تأجيل بعضها والاستفسار عن بعضها.

19

الوقت الراهن

محمد

اتصلت على ياسر أسأله إن كان متفرغا لاحقا فأجابني بأنه سيكون كذلك الليلة.. أخبرته بأني سأكون بانتظاره مع فيصل.

في وقت لاحق من الليل جاء ياسر، جلس وبقينا ثلاثتنا نتبادل أطراف الحديث ثم دخلتُ مباشرة لصلب الموضوع الذي طلبتهما لأجله.

بدأت أقص عليهما ما حدث بعد دخولهما السجن.. ذهبت إلى الشيخ ولكني فوجئت تمامًا أنّ المكان الذي اعتدنا للذهاب إليه ممسوح تمامًا! وهذا يفسر عدم ظهور أطلاله بالخريطة، ثم ذهبت إلى القرية التي قصدتماها عند بحثكما عن والد نجلا، لم أعرف المنزل الذي قصدتماه تحديدًا ولكن بدأت بسؤال المارة لأصدم للمرة الثانية بأنه لا وجود لأحد بتلك القرية يُدعى نجلا ولا لعجوز خرف يكون والدها، كل ما أخبرونى عنه أنه جاء اثنان من قبلي يبحثان عن امرأة بنفس الاسم فعرفت أنهما انتما، سألتها عن نجلا ثم بدأتما تتصرفان بغرابة حيث بدوتما وكأنكما تخاطبان شخصًا غير مرئي ثم توجهتما لبيت من البيوت القديمة والتقط أحدكما

مفتاحه من الأرض.. قاطعني فيصل قائلًا: "لقد كان أنا من التقطه بعد أن أسقطه العجوز على الأرض".

نعم أذكر هذا، لأكمل.. ثم دخل كلاكما إلى بيت مهجور لم يدخله أحد منذ سنين طويلة وجلستما أمام كرسي وبقيتما تتكلمان مع الكرسي هذا قول الذين كانوا ينظرون إليكم من النافذة.

- هذا أيضًا يُفسر سبب نظراتهم الغريبة لنا من النافذة، لقد كنا نرى ما لا يرونه، هذا يعنى أننا كنا مجانين رسميًا... تهانينا الحارة لنا.

حسنا هذا كل شيء، رن هاتف ياسر ثم نظر لي وسألني: هل استعاد معاذ رقم هاتفه؟

أجبته: لا لم يفعل، أيُعقل!!

أجابَ وضَغط على مُكبر الصوت ثم سمعنا: "ياسر، ليس كل الطيبون يدفعون ثمن طيبتهم."

سألها ما الداعي من اتصالها فأجابت: "أليس لديك أيه أسئلة لي؟...

حسنًا أنا أعرف أنك فضولى أنت وصديقيك بخصوص الكثير من الأشياء لذا دعني أشرح لك كل شيء.. أولًا كل هذا مخطط له وجرت السفن بما أشتهي أنا بخصوص كل الأشخاص الذين التقيتهم في مشوارك فهم أتباعي

باستثناء الوغد أجيد، هذا لم يقم بقتل نجلا وحسب بل قام بتلويث يديه بدماء الكثيرين، ألم تشعر بالغرابة من طريقة موت عاملتي الورشة اللتان احترقتا؟ كيف كان الباب موصدًا بكل تلك القوة؟ لا بد أن يكون الأمر مخطط له، وأعتقد أنك تذكر ظهوري تلك الليلة بذلك البيت القديم بحيك، ياسر.. أنا أعرف أنك ذكي ولن تلحقني للداخل ولكن كان هناك داع من ظهوري، إن كنت تذكر أن البيت الذي ظهرت لك به قد مات أصحابه بحريق، ألا تجد هذا غريبًا قليلًا؟ لقد أخبركم أجيد أن أغلب رفاقه من تلك الرحلة قد فارقوا الحياة منذ فترة، وأخبركم أيضًا أنه كان ينوي أن يموت ويدفن سره معه ولكن ما لم يُخبركم به أنه كان ينوي أن يدفن كل من كان يعرف بسره أيضًا!!

أما بخصوص موت واحد منكم فتلك كانت مجرد كذبة لجعلكم تتحركون كما أريد أنا.. البشر يخافون من الموت! قد يدعي بعضهم بأنه سيم الحياة وأنه يتمنى الموت ليتخلّص من عذابها ولكنه بمجرد أن يلتقي بظل الموت ويسمع قرع خطواته فإنه يسحب كلامه كالذليل ويُدرك أن عذاب هذه الحياة أهون من الموت أحيانًا بخصوص نجلا فباعتقادكم أني أكون نجلا التي قتلها أجيد ولكن نجلا تلك تختلف كل الاختلاف عني، إنها شيء وأنا شيء آخر، أخبركم لتضعوا هذا بالحسبان.

ياسر وهو ينزع نظارته: من أنت؟ بل ما أنت؟

ضحكت وهي تقول: سؤالك جميل ولكني سأتركك لتبحث عن إجابته بنفسك، من أنا؟ لا أحد يعرف من أنا ولو سمع إنسي باسمي فليطمئن ويعرف أنّ اسمي آخر ما قد يسمعه بحياته، أما ما أنا فالإجابة موجودة باسم نجلا فقط قم بالبحث عنها.

فصل الخط، تحت صدمتنا مما سمعنا، كرّرتُ آخر جملة قالتها وهي: "أما ما أنا فالإجابة موجودة باسم نجلا."

بقيت أفكّرُ للحظات حتى عرفتُ ما تكون هذه المرأة عندما قُمتُ بعكس اسمها.. ما هي؟

إنها من الجن!

انتهى...

البشر يخافون من الموت! قد يدعي بعضهم بأنه سئم الحياة وأنه يتمنى الموت ليتخلص من عذابها ولكنه مجرد أن يلتقي بظل الموت ويسمع قرع خطواته فإنه سيسحب كلامه كالذليل ويدرك أن عذاب هذه الحياة اهون من الموت أحيانا.

فاطمة الزهراء هامل
kara_35s

READERS STAR
DAR PAGES
9 786030 464838
DESIGNED BY @CARROTDESIGNER
دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع